الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة قاصدي مرباح – ورقلة-

كلية الاداب و اللغة و الفنون

قسم : اللغة و الأدب العربي

أدبية الخطاب النثري عند هارون الرشيد

مذكرة من متطلبات نيل شهادة الماستر في اللغة و الأدب العربي

الميدان : اللغة و الأدب العربي

الشعبة : دراسات أدبية

التخصص: أدب عربي قديم

من إعداد الطالبة :

إيمان عماري

تحت إشراف:

أ.د/أحمد حاجي

لجنة المناقشة

أعضاء لجنة المناقشة	الرتبة العلمية	الصفة	الجامعة
أ.د/عمر بن طرية	أستاذ	رئيسا	جامعة قاصدي مرباح ورقلة
أ.د/أحمد حاجي	أستاذ	مشرفا ومقررا	جامعة قاصدي مرباح ورقلة
أ.د/نورة بن طبال	أستاذ	ممتحنا	جامعة قاصدي مرباح ورقلة

الموسم الجامعي2025 -2026 م / 1447هـ

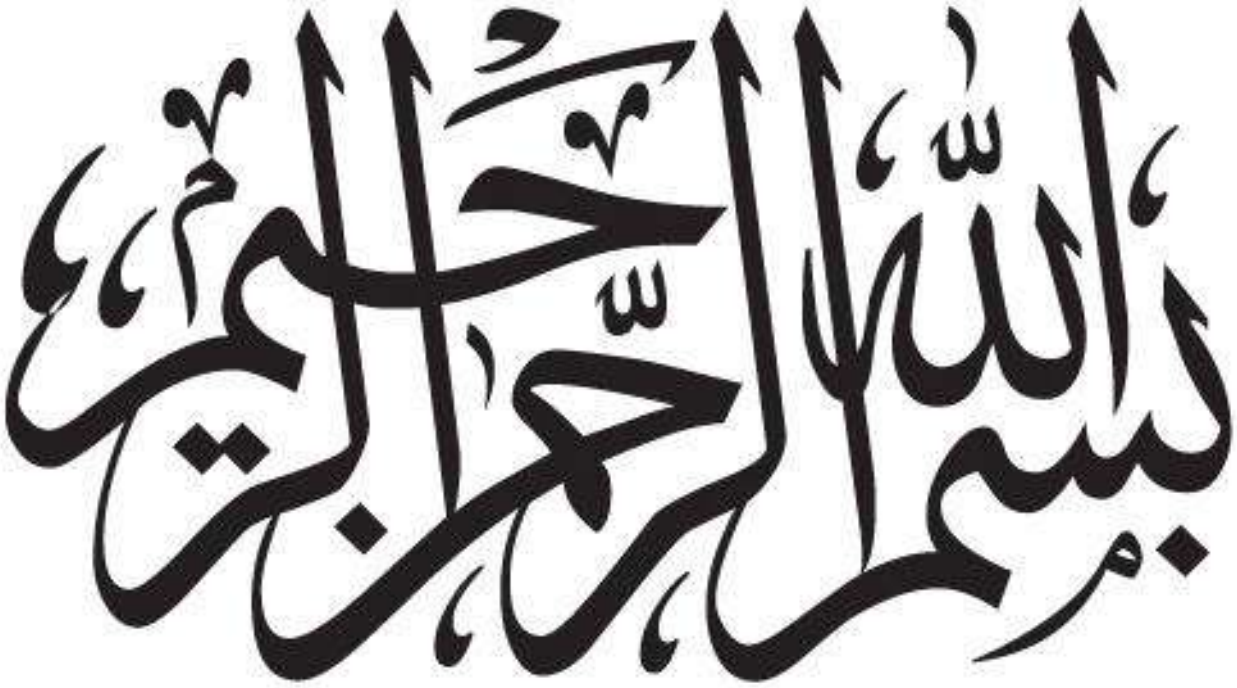
بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، و الصلاة و السلام على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

اهدي هذا العمل المتواضع إلى والدي الكريمين حفظهما الله ، و إلى أساتذتي الأفاضل ، و إلى كل من دعا لي بظهر الغيب ووقف بجانبي ، راجية من الله القبول و السداد.

إيمان عماري

شكرو تقدير

انطلاقا من قوله تعالى {رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَ عَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ }.

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، و الصلاة و السلام على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

أتقدم بخالص الشكر و عظيم الامتنان الى أستاذي المشرف الدكتور أحمد حاجي على قبوله الأشراف على هذا البحث و توجيهه القيم .

كما أشكر أعضاء لجنة المناقشة و أساتذتي الكرام ، و كل من قدم لي عونا أو دعاء .

جزاكم الله عني خير جزاء ، و بارك الله فيكم جميعا.

إيمان عماري

الملخص بالعربية

تتناول هذه الدراسة الموسومة بـ«**أدبية الخطاب النثري عند هارون الرشيد**» الخطاب النثري في العصر العباسي بوصفه مظهرًا من مظاهر الازدهار الحضاري والفكري الذي عرفته الثقافة العربية الإسلامية. فقد شهد هذا العصر تطورًا ملحوظًا في فنّ النثر، إذ تجاوز وظيفته البلاغية ليصبح خطابًا أدبيًا يحمل أبعادًا فكرية وجمالية تعكس تحولات العصر السياسية والثقافية.

وتهدف الدراسة إلى الكشف عن الخصائص الأدبية والفنية التي ميّزت الخطاب النثري المرتبط بالخليفة العباسي هارون الرشيد، من خلال الإشكالية التالية: إلى أي مدى تجلت أدبية الخطاب النثري عند هارون الرشيد؟ و ما أبرز الخصائص الفنية و الأسلوبية التي ميزت هذا الخطاب؟

اعتمد البحث على المنهج الأسلوبي للكشف عن الظواهر اللغوية والبلاغية، إلى جانب المنهج التاريخي لربط النصوص بسياقها الحضاري والسياسي، مع الاستفادة من بعض التصورات النقدية الحديثة المرتبطة بمفهوم الأدبية وتحليل الخطاب.

تبرز أهمية هذه الدراسة في إعادة قراءة النثر العباسي من منظور نقدي حديث يركّز على جماليات الخطاب وآلياته الفنية، وإبراز الجوانب الأدبية في شخصية هارون الرشيد، إضافة إلى الإسهام في الدراسات المتخصّصة التي تعالج مفهوم الأدبية في الخطاب النثري التراثي.. و تظهر نتائج هذي الدراسة في : تثبت أن العصر العباسي لم يكن عصر ازدهار سياسي و حضاري فحسب ، بل كان أيضا عصرا ذهبيا في البيان و الخطاب ، حيث تحوّلت البلاغة إلى قوة ثقافية ورمزية أسهمت في بناء الدولة وتوجيه الوعي الجمعي. ومن ثمّ، فإن دراسة الخطاب النثري عند هارون الرشيد تكشف عن القيمة الأدبية والفكرية للنثر العباسي، وتبرز دوره في التعبير عن روح العصر وتحولاته الحضارية والفكرية، بما يؤكد المكانة المتميزة للنثر العربي في التراث الأدبي العربي الإسلامي.

الكلمات المفتاحية : الخطاب النثري ،الأدبية، العصر العباسي ،هارون الرشيد ، الأسلوبية .

الملخص بالإنجليزية

This study, entitled "**The Literary Nature of Harun al-Rashid's Prose,"** examines prose discourse in the Abbasid era as a manifestation of the intellectual and cultural flourishing of Arab-Islamic culture. This era witnessed a remarkable development in the art of prose, which transcended its rhetorical function to become a literary discourse imbued with intellectual and aesthetic dimensions reflecting the political and cultural transformations of the time.

The study aims to uncover the literary and artistic characteristics that distinguished the prose discourse associated with the Abbasid Caliph Harun al-Rashid, addressing the following question: To what extent was the literary nature of Harun al-Rashid's prose discourse manifest? And what are the most prominent artistic and stylistic features that characterized this discourse?

The research employs a stylistic approach to uncover linguistic and rhetorical phenomena, alongside a historical approach to connect texts to their cultural and political context, while also drawing upon some modern critical perspectives related to the concept of literaryness and discourse analysis. The importance of this study lies in its re-reading of Abbasid prose from a modern critical perspective that focuses on the aesthetics of discourse and its artistic mechanisms, highlighting the literary aspects of Harun al-Rashid's personality. It also contributes to specialized studies addressing the concept of literary merit in classical prose. The results of this study demonstrate that the Abbasid era was not only a period of political and cultural flourishing, but also a golden age of eloquence and rhetoric, where rhetoric transformed into a cultural and symbolic force that contributed to state-building and the shaping of collective consciousness. Therefore, studying Harun al-Rashid's prose reveals the literary and intellectual value of Abbasid prose and highlights its role in expressing the spirit of the age and its cultural and intellectual transformations, thus confirming the distinguished position of Arabic prose in the Arab-Islamic literary heritage.

Keywords: Prose discourse, literary merit, Abbasid era, Harun al-Rashid, stylistics.

المقدمة

المقدمة

يُعَدّ الخطاب النثري في العصر العباسي أحد أبرز مظاهر النضج الحضاري والفكري في التراث العربي، إذ شهد هذا العصر ازدهارًا ثقافيًا انعكس بوضوح على مختلف الفنون الأدبية، ولاسيّما فنّ النثر الذي تطوّر على مستوى اللغة والأسلوب والبناء الفني والدلالة الفكرية. وقد ارتبط هذا التطوّر بالحياة السياسية والعلمية التي عرفتها الدولة العباسية، خاصة في عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد، الذي مثّل عصره مرحلة ذهبية امتزجت فيها السلطة بالعلم والأدب والفكر، فغدت الثقافة عنصرًا فاعلًا في تشكيل الخطاب الأدبي وتوجيهه

وفي إطار هذا الاهتمام، يندرج هذا البحث الموسوم بـ: «**أدبية الخطاب النثري عند هارون الرشيد**»، الذي يسعى إلى الكشف عن الخصائص الأدبية والفنية التي ميّزت الخطاب النثري المرتبط بهارون الرشيد، من خلال دراسة نماذج مختارة من الرسائل والخطب والأقوال المأثورة، وتحليل بنيتها الأسلوبية والدلالية، والوقوف عند مظاهر الجمال الفني والتأثير البلاغي فيها، مع ربطها بسياقها التاريخي والثقافي والحضاري.

أسباب اختيار الموضوع

الأسباب الذاتية و الموضوعية

تتمثل الأسباب الذاتية في : الرغبة الشخصية في دراسة الأدب العباسي لما يمتاز به من ثراء لغوي و فني و فكري، و كذلك الاهتمام بفن النثر العربي القديم بوصفه مجالا خصبا للتحليل الأسلوبي و النقدي ، و أيضا الميل إلى دراسة الشخصيات التاريخية التي كان لها أثر حضاري . أما الأسباب الموضوعية التي دعت إلى اختيار هذا الموضوع فتتمثل في جملة من الاعتبارات النقدية والحضارية. فمن جهة، يبرز الميل إلى دراسة الشخصيات التاريخية التي كان لها أثر حضاري ملموس، ومن جهة أخرى، تتجلى أهمية العصر العباسي في تطور الأدب العربي عامة والنثر خاصة بوصفه مرحلة فارقة في تاريخ الثقافة العربية. كما تبرر هذه الدراسة قلة الدراسات المتخصصة التي تناولت أدبية الخطاب النثري عند هارون الرشيد بوصفه مستقلاً بذاته، فضلاً عن الحاجة العلمية إلى إبراز الخصائص الفنية والجمالية للنصوص النثرية العباسية. إضافة إلى ذلك، تسعى هذه الدراسة إلى المساهمة في الربط بين الأدب والتاريخ والسياسة والثقافة ضمن رؤية نقدية حديثة، بما يكشف عن الأبعاد الوظيفية للخطاب في سياقه الحضاري.

إشكالية البحث

ينطلق هذا البحث من الإشكالية الرئيسة الآتية:

إلى أيّ مدى تجلّت أدبية الخطاب النثري عند هارون الرشيد، وما أبرز الخصائص الفنية والأسلوبية التي ميّزت هذا الخطاب؟

وتتفرّع عن هذه الإشكالية مجموعة من التساؤلات الفرعية، من أهمها:

- ما المقصود بأدبية الخطاب النثري؟
- ما طبيعة الخطاب النثري في العصر العباسي؟
- ما أبرز السمات الأسلوبية والبلاغية في خطاب هارون الرشيد؟
- كيف انعكست البيئة السياسية والثقافية في تشكيل هذا الخطاب؟
- ما الأبعاد الفنية والجمالية التي أكسبت النصوص النثرية طابعها الأدبي؟

الدراسات السابقة

رسائل الماجستير

- الخطاب السياسي في العصر العباسي الأول: دراسة أسلوبية تحليلية .
- البنية الفنية في الرسائل العباسية: دراسة نقدية .
- النثر العباسي بين البلاغة والسياسة .

وقد أفادت هذه الدراسة من تلك البحوث في الجانب النظري والمنهجي، مع سعيها إلى معالجة موضوع أدبية الخطاب النثري عند هارون الرشيد معالجة أكثر تخصّصًا وتركيزًا.

منهج البحث

اعتمد البحث على جملة من المناهج النقدية، أبرزها:

- **المنهج الأسلوبي** :للكشف عن الظواهر اللغوية والبلاغية والجمالية في النصوص المدروسة .
- **المنهج التاريخي** :لربط الخطاب النثري بالسياق الحضاري والسياسي للعصر العباسي .

خطة البحث

اشتملت خطة البحث على مدخل وفصلين:

و اشتملت خطة البحث على مدخل تناولنا فيه. مفهوم أدبية الخطاب في النقد العربي و الحديث.

و الفصل الأول: البنية الموضوعية و الدلالية في خطاب هارون الرشيد.

و أما الفصل الثاني : الخصائص البلاغية و التفاعلات الأدبية في الخطاب النثري.

و من أهم مصادر البحث:

البيان والتبيين – الجاحظ

الأسلوبية وتحليل الخطاب ـ منذر عياشي

بلاغة الخطاب الأدبي ــ عبد القاهر الجرجاني

أهم الصعوبات :

صعوبة الفصل بين الجانب التاريخي والجانب الأدبي في النصوص المتعلقة بهارون الرشيد .

قلّة الدراسات المتخصّصة التي تناولت الموضوع بعنوانه الدقيق.

في الأخير نتقدم بالشكر و الامتنان الأستاذ المشرف على توجيهه و دعمه. وكما أتقدم بالشكر الموصول للجنة المناقشة على تفضلها بقبول مناقشة هذا البحث المتواضع.

هذا جهدنا نضعه بين أيديكم فإن أصبنا فمن الله، وإن أخطأنا فمن أنفسنا

و الله نسأل التوفيق و السداد

إيمان عماري

ورقلة في : ماي 2026

المقدمة

المدخل: مفهوم أدبية الخطاب بين القديم والحديث

المدخل: أدبية الخطاب بين القديم و الحديث

تعتبر "أدبية الخطاب" من المفاهيم الأساسية في النقد الأدبي، وتشير إلى كيفية استخدام الكاتب للغة كوسيلة فنية وجمالية لتوصيل فكرته أو رسالته، فهي ليست مجرد نقل لرسالة أو معنى، بل تشمل تنظيم الكلمات واختيار الأساليب البلاغية واستخدام الصور والدلالات التي تجعل الخطاب يؤثر في نفس المتلقي. وقد تطور هذا المفهوم على يدي مسارين متكاملين هما : البلاغة العربية القديمة والنقد اللساني الحديث.

لم يتناول مصطلح أدبية الخطاب في البلاغة العربية بشكل نظري مباشر، وإنما ظهر في أكثر من مصطلح وكتاب مختلف، خاصة عند الجاحظ والجرجاني، حيث ربط الجاحظ بحسن اختيار اللفظ و المعنى اذ يؤكد بقوله " لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه، ولفظه معناه، فلا يكون لفظه إلى سمعك أسبق من معناه إلى قلبك"[1] فالبلاغة عند الجا حط لا تقويم على تغليب اللفظ او المعنى بل على التوازن بينهم. وأما الجرجاني فقد أسس لمفهوم النظم فيقول :"أعلم أن ليس النظم ألا تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، و تعمل على قوانينه و اصوله ، و تعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها ، و تحفظ الرسوم التي رسمت لك، فلا تخلا بشئ منها"[2] هنا ينفي الجرجاني ان تكون بلاغة الادب في اللفظ المنفرد بل يجب ان تتجلى في مكانها داخل البنية التركيبة للجملة.

أما في النقد الحديث فقد عرفت البنيوية الأدبية بأنها مجموعة من الخصائص اللغوية و الاسلوبية التي تجعل النص ادبيا ، من خلال تركيزه على ذاته كلغة و بنية لا مجرد وسيلة لنقل المعنى. يؤكد جاكوبسون أن وظيفة الادب الأساسية هي "الوظيفة الشعرية" اذ يقول " هي تمايز الفن اللغوي و اختلافه عن غيره من الفنون الأخرى و عما سواه من السلوك القولي و هذا ما يجعلها مؤهلة الصدارة في الدراسة الأدبية"[3] يعني بقوله هذا أن الادب ليست مجرد كلام بل هو صناعة بالكلمات التي تتصرف بطريقة غير معتادة. وبينما يرى شلوفسكي أن الأدبية تتحقق عبر "التغريب" و كسر المألوف حيث يقول " أن الفن يتميز بالغرابة، ويبتعد عن الألفة والوضوح، وينأى عن الكلام العادي وسهولة الإدراك وبالتالي، يكون بناء غامضًا، وشكلًا معقدًا، ويستغرق مدة من الوقت لاستيعابه جيدًا "[4] فالفن هو رياضة ذهنية ، فكلما كان النص يحتاج لجهد و وقت لفك شفراته كان اكثر أدبية و اعمق أثر. و كذلك تودوروف فالأدب عنده ليس مجرد نقل للواقع بل هو بناء لغوي تحكمه قوانين خاصة و يقوم على تنظيم جمالي للغة إذ يقول" ان الأدب هو نوع من (المحاكاة)، فمثلما

---

[1] الجا حط، البيان و التبيين ، ت: عبد السلام هارون ، ط:7 مكتبة الخنا جي1998م ص 115

[2] جرجاني عبد القهار، دلائل الاعجاز، ت: محمود محمد شاكر، مطبعة : المدني، القاهرة،ط:3 1992، ص 81

[3]ياكوبسون، رومان، إسهامات في تحديد مفهوم الشعرية الجديدة ، يوسف بغداد ، جامعة سعيدة، د. مولاي، مجلد 8 ، عدد1 جوان 2021ص91

[4] حمداوي جميل، النظرية الشكلانية في الادب و النقد و الفن، موقع جامع الكتب الإسلامية https://ketabonline.com/ar، مجلد1 ص4

المدخل: أدبية الخطاب بين القديم و الحديث

التصوير محاكاة بالصورة، فالأدب محاكاة بالكلام. وهذا المصطلح يحصر الأدب فيما يسمى بالأدب الواقعي المجرد من (الخيال)، والذي يُعدّ ركنًا من أركان الأدب"[1]

هنا فقد حصر تودوروف الادب في المحاكاة لان الادب في جوهره إنشاء و ليس مجرد انعكاس.

من هنا يمكن اعتناق مقاربة تكاملية التي تجمع بين اللفظ و المعنى و النظم في البلاغة العربية فلا تكون في اللفظ وحده ولا في المعنى وحده ، فاللفظ يكون مناسب للمعنى، و المعنى يكون واضحا و مؤثرا ، وأما النظم فيربط بينهم في بناء الجملة. وفي اللسانيات بين البنية والوظيفة فتتحقق الأدبية حين يتحول النص من مجرد وسيلة تواصل إلى بنية لغوية تركز على ذاتها؛ فتفعل الوظيفة الشعرية عبر "التغريب" وكسر المألوف، مما يحول الكلام إلى "صناعة" و "رياضة ذهنية" تُعيد بناء الواقع جمالياً ولا تكتفي بانعكاسه، ولا يقف هذا البناء عند حدوده التشكيلية بل يمتد تداوليا ليصبح استعمالاً مرتبطاً بسياق مخصوص، يمارس فيه النص دوراً حجاجياً يهدف إلى الإقناع وبناء الشرعية من بنية صامتة إلى خطاب مؤثر يجمع بين جمالية التشكيل و قوة التأثير.

---

[1] **تودوروف ، تزفيتان ، مفهوم الادب و الدراسات أخرى، ت:عبد قاسم ، عبد العزيز الشبيل، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1991ص 8**[1]

الفصل الأول : البنية الموضوعية و الدلالية في خطاب هارون الرشيد

.المبحث الأول: التيمات الفكرو السياسة في خطاب هارون الرشيد

-المبحث الثاني: القيم الجمالية و الدلالية في الخطا

ـ تيمات الفكرة و السياسية

1. تيمة السلطة و الدين:

لا يظهر خطاب هارون الرشيد، في النصوص النثرية التي حفظتها كتب الأدب والتاريخ، بوصفه خطابا إداريا خالصا، ولا بوصفه موعظة دينية معزولة عن شأن الحكم، بل يظهر في منطقة وسطى تلتقي فيها شرعية الخلافة، ومطلب الطاعة، وفكرة الحساب الأخروي. ومن ثم فإن دراسته أدبيا تقتضي النظر إليه بوصفه خطابا مركبا: فهو من جهة خطاب سلطان يطلب تثبيت النظام، ومن جهة ثانية خطاب واعظ يستند إلى القرآن والحديث ومعجم التقوى، ومن جهة ثالثة خطاب أديب يختار الإيقاع والتركيب والصورة ليبلغ غايته في النفوس. "وقد حفظت *جمهرة خطب العرب* خطبة منسوبة إلى الرشيد تجعل الافتتاح قائما على النداء الديني: «عباد الله»، ثم تبني شبكة من الأوامر والنواهي على الأمانة والورع والزكاة والتوبة والتقوى."[1]

إن مركز الخطاب هنا ليس ذات الخليفة وحدها، بل الجماعة المخاطبة في علاقتها بالله [2]وبالنظام الاجتماعي. فالتعبير بـ«عباد الله» ينقل السامعين من وضع الرعية السياسية إلى وضع العبودية الجامعة؛ وبذلك تتأسس السلطة على رابط ديني سابق على السياسة، ثم تعود السياسة فتستثمر هذا الرابط لتجعل الطاعة جزءا من نظام أخلاقي واسع. فالخليفة لا يقدم نفسه متكلما باسم قوة دنيوية فحسب، بل يقدم نفسه واعظا يذكر الناس بما ينتظرهم من حساب، ويعيد ترتيب علاقتهم بالدنيا من منظور الفناء والبقاء. ولهذا لا ينفصل خطاب الرشيد عن تقليد الخطب العباسية التي تكثر فيها الآيات، ويشتد فيها حضور الوعيد، وتتخذ من المنبر مجالا لإنتاج الشرعية الرمزية.[2]

ويلاحظ أن الرشيد لا يستعمل الدين في الخطبة استعمالا تزيينيا، وإنما يجعله بنية دلالية تقود المعنى من البداية إلى النهاية. فالأمانة ليست قيمة فردية فقط، بل هي أساس انتظام المجتمع؛ والورع ليس عزوفا عن الدنيا فقط، بل هو ضابط لسلطة النفس والمال والقرار؛ والزكاة ليست عبادة مالية فحسب، بل علامة على إدراك الفرد لمسؤوليته داخل الجماعة. ولذلك تصبح الألفاظ الدينية في الخطاب أدوات سياسية ناعمة؛ لأنها تضع الرعية أمام سلطة الضمير قبل أن تضعها أمام سلطة الخليفة. وإذا كان الجاحظ يجعل البيان قدرة على كشف المعنى وإيصاله، فإن خطاب الرشيد يحقق هذه الوظيفة حين يجعل الوعظ طريقا إلى ضبط الجماعة، وحين يجعل الإقناع الديني سندا للإقناع السياسي3

غير أن الربط بين الدين والسلطة لا يعني اختفاء المجتمع من بنية الخطاب. فالمجتمع حاضر من خلال ألفاظ الجماعة: الناس، العباد، الآباء، الأبناء، الأحبة، العشائر. وهذه الألفاظ توسع دائرة المخاطب، فتجعل الخطبة تتجاوز النخبة السياسية إلى عامة الناس. كما أن ذكر الموت، وانتقال الإنسان من دار فناء إلى دار بقاء، لا يعمل بوصفه معنى

---

[1] **أحمد زكي صفوت، *جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة*، المكتبة العلمية، بيروت، ج3، ص83.**

[2] **ابن عبد ربه الأندلسي، *العقد الفريد*، ت: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1983، ج4، ص191.**

لاهوتيا مجردا، بل بوصفه آلية خطابية لإضعاف غرور الدنيا وإعادة توجيه السلوك الاجتماعي. ومن هنا تظهر أدبية الخطاب في تحويل المعنى الديني إلى مشهد اجتماعي حي: بيوت، آباء، أبناء، أحبة، أسباب تنقطع، وأعمال تسلم أصحابها إلى الحساب.[1]

و تتجلى رؤية الرشيد للسلطة كذلك في النصوص ذات الطابع الإداري، وخصوصا كتابه إلى العمال. وبهذا فإنّ النصّ ينقل الخطاب من فضاء المنبر إلى فضاء الدولة؛ لكنه يحتفظ بالبنية الأخلاقية نفسها: مراقبة العمال، التحذير من الظلم، ربط الوظيفة بالمسؤولية، واعتبار الرعيّة أمانة. أورد الطبري نص الكتاب في سياق سنة ست وثمانين ومائة، وهو سياق مهم لارتباطه بمرحلة نضج الدولة العباسية وزيادة الحاجة إلى ضبط جهازها الإداري.

وفي هذا الموضع يبرز الفرق بين الخطبة والكتاب. الخطبة تخاطب الوجدان العام، أما الكتاب فيخاطب جهاز السلطة. الخطبة تبني الجماعة على التقوى، والكتاب يبني الإدارة على المحاسبة. ومع ذلك فإنهما يلتقيان في أصل دلالي واحد: السلطة أمانة وليست امتيازا. وهذا المعنى لا يصدر في خطاب الرشيد في صورة نظرية سياسية مجردة، بل في صور عملية: النهي عن الجور، الأمر بإقامة العدل، التشديد في مراقبة العمال، وتحويل العمل الإداري إلى تكليف ديني. إن الطبري، حين يضع هذا الكتاب ضمن أخبار الرشيد، يقدم مادة تاريخية، أما القراءة الأدبية فتتعامل معه بوصفه نصا نثريا له بنية أمرية وإيقاعية وقيمية.[2]

واللافت في تصور الرشيد للمجتمع أن المجتمع ليس كيانا صامتا، بل هو مجال اختبار للسلطة. فصلاح السلطان لا يقاس في الخطاب بما يعلنه عن نفسه، وإنما بما ينعكس على أحوال الرعية. وهذه الفكرة قريبة مما يورده ابن قتيبة في أبواب السلطان، إذ يجعل سيرة السلطان وسياسته معيارا في انتظام الأمر العام، ويجعل اختيار العمال جزءا من عدل الدولة لا مسألة تقنية محضة.[3] فإذا قرأنا خطاب الرشيد في ضوء هذا الأفق، بدا واضحا أن الرعية ليست موضوعا للامتلاك، بل موضوعا للمسؤولية؛ وأن العامل ليس تابعا إداريا فقط، بل وسيط بين الخليفة والناس، فإن فسد الوسيط فسد وجه الدولة في عيون الرعية.[4]

ولا يمكن عزل هذه الرؤية عن السياق العباسي؛ فقد جاءت الخلافة العباسية محملة بادعاء ديني ونَسَبي وسياسي، وكانت تحتاج إلى تثبيت سلطانها بلغة تجمع بين الهيبة والشرعية. ومن هنا يبدو خطاب الرشيد امتدادا للخطاب العباسي العام، لكنه يمتاز بتكثيف نبرة الوعظ وربطها بصورة الخليفة المراقب لنفسه ولعماله. ويشهد الطبري على بداية خلافته

---

[1] **أحمد زكي صفوت، *جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة*، المكتبة العلمية، بيروت، ج3، ص83.**

[2] **محمد بن جرير الطبري، *تاريخ الرسل والملوك*، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1387هـ/1967م، ج8، ص283**

[3] **ابن قتيبة الدينوري، *عيون الأخبار*، دار الكتب العلمية، بيروت، 1418هـ، ج1، ص12.**

[4] **ابن قتيبة، *عيون الأخبار*، المرجع السابق، ج1، ص13.**

وموضع انتقال السلطة إليه، وهو سياق يبين أن الخطاب السياسي لم يكن ترفا بل ضرورة من ضرورات تثبيت الحكم بعد انتقال الخلافة من الهادي إليه.[1]

2. تيمة الحاكم و المحكوم:

تتأسس القيم السياسية في خطاب الرشيد على ثلاث دوائر كبرى: العدل، والطاعة، والمسؤولية. فالعدل يظهر في علاقة الخليفة بالرعية وفي علاقة العمال بالناس؛ والطاعة تظهر في علاقة الجماعة بالنظام؛ والمسؤولية تظهر في علاقة الجميع بالله. ولذلك لا يقدم الخطاب الطاعة باعتبارها خضوعا أعمى، بل يربطها بسياق أخلاقي يجعل الحكم أداة لحفظ الدين والنفس والمال والجماعة. إن قيمة العدل في النصوص المنسوبة إلى الرشيد لا تنفصل عن التحذير من الظلم؛ لأن الظلم هو الصورة السلبية التي تكشف معنى العدل بالمخالفة. وقد أفرد ابن قتيبة في *عيون الأخبار* بابا للظلم ضمن كتاب السلطان، مما يدل على أن الثقافة الأدبية السياسية العربية جعلت الظلم قضية خطابية وأخلاقية مركزية لا مسألة قانونية فحسب.[2]

وفي وصية الرشيد لمؤدب ولده الأمين تظهر قيمة التربية السياسية قبل الوصول إلى السلطة. فالنص لا يعالج التعليم بوصفه تلقينا للعلوم، بل بوصفه بناء للخلق السلطاني
المؤدب في هذا السياق لا يصنع قارئا فحسب، بل يصنع وارثا للخلافة؛ ولذلك يتجه الخطاب إلى تهذيب النفس، وتكوين الملكة، وضبط السلوك، وتعليم الأدب بمعناه الواسع: أدب اللسان، وأدب المجلس، وأدب الحكم. وقد أورد أحمد زكي صفوت هذه الوصية في *جمهرة خطب العرب* بعد خطبة الرشيد، وهذا الترتيب يساعد على قراءة النصين معا: الأول يوجه الجماعة، والثاني يصنع من سيتولى توجيه الجماعة مستقبلا.[3]

إن القيمة الأخلاقية الأبرز في هذه الوصية هي أن السلطة تبدأ من تهذيب الذات. فالخليفة المرتقب لا يكون أهلا للحكم لمجرد نسبه، بل بما يكتسبه من أدب وحزم ومعرفة بمقامات الكلام. وهذا المعنى جوهري في بحث أدبية الخطاب؛ لأن النص يجعل الأدب شرطا من شروط السياسة. فالخطاب السياسي العباسي لا يكتفي بالقوة العسكرية أو بالشرعية الوراثية، بل يحتاج إلى البيان، وحسن التصرف في المقام، ومعرفة متى يتكلم ومتى يصمت. وهنا تلتقي وصية الرشيد مع تصور الجاحظ للبيان والبلاغة؛ إذ ليست البلاغة زخرفة لفظية، بل إصابة للمعنى وتدبير للمقام.[4]

ومن القيم السياسية التي تتجلى في خطاب الرشيد قيمة الحزم. غير أن الحزم في هذه النصوص ليس عنفا خطابيا دائما، بل هو قدرة على الجمع بين اللين والشدة. ففي رسائله إلى العمال، تقوم الصيغة الأمرية على بيان ما يجب وما لا يجب، لكنها لا تنفصل عن استحضار الحساب. وهذا يجعل الحزم مؤسسا على معيار أخلاقي لا على مجرد إرادة الحاكم.

---

[1] **محمد بن جرير الطبري، *المصدر السابق*، ص230.**

[2] **ابن قتيبة، *عيون الأخبار*، المرجع السابق، ج1، ص24.**

[3] **أحمد زكي صفوت، *جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة*، ج3، ص85.**

[4] **الجاحظ، *البيان والتبيين*، المصدر السابق، ج1، ص24-27.**

فالخطاب يهدد الظالم لأنه ظالم، لا لأنه خالف رغبة شخصية. ومن هنا تكون أدبية الخطاب في قدرته على تحويل الأمر الإداري إلى معنى قيمي، وتحويل السياسة إلى نظام دلالي تتساند فيه الألفاظ الدينية والقانونية والأخلاقية.[1]

وتظهر قيمة الأمانة في أكثر من مستوى. فهي أمانة الإيمان في الخطبة، وأمانة الحكم في الكتاب إلى العمال، وأمانة التربية في الوصية إلى المؤدب. هذا التكرار لا يعد عيبا أسلوبيا، بل يمثل محور انسجام داخلي في مدونة الرشيد النثرية. فالأمانة تصبح كلمة مفتاحية تنظم العلاقة بين الإنسان وربه، وبين الخليفة ورعيته، وبين العامل ووظيفته، وبين المؤدب والولي العهد. وبذلك تكشف الكلمة الواحدة عن قدرة الخطاب على ربط المجالات المختلفة بمنظومة قيمية واحدة. وقد جعل الجاحظ من حسن البيان القدرة على بلوغ المعنى بأقرب طريق، وهذا ما يظهر في توظيف الرشيد للألفاظ الجامعة التي تختصر شبكة واسعة من الالتزامات.[2]

أما الطاعة، فتتخذ في الخطاب العباسي معنى مركبا. هي طاعة لله أولا، ثم طاعة لنظام الخلافة باعتباره حاميا للدين والجماعة. ولا يصرح الرشيد بهذا المعنى دائما تصريحا مباشرا، بل يبنيه عبر ترتيب دلالي يبدأ بالله والحساب، ثم ينتقل إلى إصلاح السلوك، ثم ينتهي إلى انتظام المجتمع. ولهذا يغدو الخطاب السياسي خطابا تربويا: فهو لا يأمر الرعية بالطاعة فحسب، بل يعيد تشكيل وجدانها بحيث ترى الطاعة جزءا من النجاة الأخروية وصلاح الدنيا. وفي هذا السياق لا تكون الآيات القرآنية مجرد شواهد، بل تكون عصب البنية الإقناعية.[3]

ويضاف إلى ذلك أن الرشيد يستعمل الوعيد استعمالا محسوبا. فالوعيد لا يأتي منفصلا عن الرجاء؛ إذ يقابل بين المغفرة والتوبة، والرحمة والتقوى، والهدى والإنابة. هذه الثنائيات تصنع توازنا نفسيا في الخطاب: لا يترك السامع في الخوف وحده، ولا يطلقه في الأمل وحده. وهذا التوازن من خصائص الخطاب الوعظي الناجح؛ لأنه يجمع بين التحذير والتحفيز.

وتظهر هنا قيمة جمالية داخل القيمة الأخلاقية: فالخطاب لا يكتفي بذكر المعنى، بل يرتبه في أزواج متوازنة تمنحه إيقاعا وقوة حفظ.[4]

إن قيمة المسؤولية في خطاب الرشيد تبلغ ذروتها حين يخاطب العمال. فالخطاب الإداري لا يترك المسؤولية معلقة في مستوى الخليفة وحده، بل ينزل بها إلى مستويات الدولة كلها. العامل مسؤول، والكاتب مسؤول، والقاضي مسؤول، الرعية شاهدة على أثر المسؤولية أو فسادها. وقد أشار ابن قتيبة إلى شأن الكتابة والكتاب ضمن أبواب السلطان، وهو

---

[1] **الطبري، *تاريخ الرسل والملوك*، ج8، المصدر السابق، ص283.**

[2] **الجاحظ، *البيان والتبيين*، المصدر السابق، ج1، ص23.**

[3] **نفسه، ص36.**

[4] **ابن عبد ربه الأندلسي، *العقد الفريد*، تحقيق: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1983، ج4، ص191.**

ما يكشف أن النص السياسي في الحضارة العربية كان جزءا من آلية الحكم لا مجرد وثيقة صامتة.[1] ومن هنا فإن كتاب الرشيد إلى العمال ليس وثيقة إدارية فحسب، بل نص أدبي سياسي يتشكل فيه معنى الدولة عبر اللغة.

3. تيمة الهوية و لانتماء:

تقوم دلالات الهوية في خطاب الرشيد على تداخل ثلاث هويات: هوية إسلامية عامة، وهوية عباسية سياسية، وهوية حضارية تتصل بمركزية بغداد والخلافة في مواجهة الداخل والخارج. فالهوية الإسلامية تظهر في الافتتاح الديني وكثرة الآيات والمعجم الأخروي، والهوية العباسية تظهر في مقام الخليفة المتكلم باسم الجماعة، والهوية الحضارية تظهر في خطاب القوة تجاه الروم وفي إدارة الأطراف. وقد حفظ الطبري أخبارا عن علاقة الرشيد بالروم، منها خبر دخول القاسم بن الرشيد أرض الروم، وفتح الرشيد هرقلة، وهي أخبار تكشف أن الخطاب السياسي العباسي كان يبني صورة للخلافة بوصفها قوة حامية للثغر والدين معا.[2]

في هذا السياق لا يكون الانتماء مجرد نسب أو ولاء سياسي، بل هو بناء رمزي يتجلى في اللغة. فالخليفة حين يخاطب الناس بصفة «عباد الله» يوحدهم تحت هوية دينية، وحين يخاطب العمال يجعلهم جزءا من جهاز الدولة، وحين تذكر الأخبار غزوه للروم يظهر بوصفه حارس دار الإسلام. هذا التعدد في صور المخاطب يعكس تعدد دوائر الهوية في العصر العباسي. فالإنسان قد يكون مؤمنا من جهة، ورعية من جهة، وعاملا أو قائدا من جهة، وعضوا في جماعة حضارية تواجه خصما خارجيا من جهة أخرى.[3]

وتتضح دلالة الانتماء في العهد الذي كتبه الرشيد في الكعبة. فاختيار الكعبة مكانا للكتابة ليس تفصيلا رسميا، بل فعل رمزي يربط الخلافة بمركز القداسة الإسلامية. النص السياسي هنا لا يكتسب قوته من مضمونه وحده، بل من مكان إعلانه وحفظه. إن وضع العهد في الكعبة يحول السياسة إلى ميثاق مشهود، ويجعل الخلافة أمرا يطلب ضمانة رمزية عليا. وقد أورد الطبري نسخة الشرط الذي كتب في الكعبة، وفي ذلك مادة أساسية لفهم العلاقة بين النص والفضاء المقدس في بناء الشرعية العباسية.

ولأن البحث في الأدبية لا يقف عند الحدث، فإن أهمية هذا العهد تكمن في لغته أيضا. فهو نص يشتغل على الالتزام والشرط والبيعة والضمان، ويجعل المستقبل السياسي قابلا للضبط بواسطة الكتابة. وإذا كانت الخطبة تعتمد الحضور الصوتي والمنبر، فإن العهد يعتمد الكتابة والتوثيق. وهكذا يتعدد خطاب الرشيد بين الشفهي والمكتوب، وبين الموعظة

---

[1] **ابن قتيبة، *عيون الأخبار*، المرجع السابق، ج1، ص19.**

[2] **الطبري، *تاريخ الرسل والملوك*، المصدر السابق، ج8، ص307.**

[3] **الطبري، *تاريخ الرسل والملوك*، المصدر السابق، ج8، ص320.**

والشرط، وبين توجيه الرعية وتنظيم وراثة الحكم. وهذا التنوع النصي دليل على أن أدبية الخطاب النثري لا تنحصر في الخطب ذات الإيقاع، بل تشمل الرسائل والعهود والوصايا بما فيها من بناء دلالي ومقامي.[1]

وتنشأ الهوية العباسية أيضا من طريقة تمثيل الخليفة لنفسه. فهو لا يتكلم كفرد معزول، بل كوارث لمؤسسة الخلافة. ولذلك تميل الصيغ إلى الجدية والعموم، وتبتعد في الغالب عن
الذاتية الخاصة. حتى حين يحضر اسمه، يحضر ضمن لقب الخلافة وشبكة النسب السياسي. والنتيجة أن الخطاب يذيب الفرد في المؤسسة، ويجعل بلاغته بلاغة مقام لا بلاغة مزاج شخصي. وهذا من الفروق المهمة بين الرسالة الشخصية والرسالة السلطانية في النثر العربي.[2]

ومن دلالات الهوية كذلك أن الخطاب يستثمر القرآن لا بوصفه نصا دينيا فحسب، بل بوصفه لغة مشتركة بين السلطة والرعية. فالآية في الخطبة تعمل مثل جسر دلالي: المتكلم والناس يعترفون بسلطتها، ولذلك تصبح حجة الخطاب أقوى من حجة المتكلم الفرد. وهذا ما يجعل توشيح الخطب بالقرآن، كما لاحظ الجاحظ، تقنية بلاغية ذات أثر مزدوج: أثر جمالي يتمثل في فخامة التركيب، وأثر حجاجي يتمثل في نقل المعنى إلى مستوى لا يستطيع المخاطب المسلم إنكاره.[3]

أما الهوية الحضارية فتبدو في خطاب القوة تجاه الخارج. فالخبر التاريخي عن هرقلة لا يقدم مجرد واقعة عسكرية، بل يرسخ صورة الخليفة الغازي والحامي. وعندما تقرأ هذه الأخبار إلى جانب خطب الوعظ وكتب العمال، تتكون صورة مركبة لهارون الرشيد: خليفة واعظ في الداخل، مراقب للإدارة، وحارس للثغور. هذه الصورة ليست مجرد حقيقة تاريخية، بل هي بناء خطابي أسهمت المصادر في ترسيخه. ومن هنا يجب على الباحث أن يميز بين الرشيد التاريخي والرشيد كما صنعته النصوص، ثم يدرس الأدبية في هذا الصنع النصي نفسه.[4]

المبحث الثاني: القيم الجمالية و الدلالية في الخطاب.

1. الفكرة و الفن:

إن أبرز ما يميز الخطاب النثري عند الرشيد هو أنه لا يفصل الفكرة عن صورتها. فالفكرة السياسية أو الأخلاقية لا ترد عارية من التشكيل، بل تصاغ في بنية تعتمد النداء، والأمر، والنهي، والمقابلة، والتكرار، والاقتباس، والإيقاع الداخلي. وهذا ما يجعل النصوص قابلة للتحليل الأدبي لا التاريخي فقط. فالخطبة التي تبدأ بالنداء لا تريد الإخبار

---

[1] **نفسه، ص281.**

[2] **الطبري، *تاريخ الرسل والملوك*، المصدر السابق، ص283.**

[3] **الجاحظ، *البيان والتبيين*، المرجع السابق، ص36.**

[4] **الطبري، *تاريخ الرسل والملوك*، المصدر السابق، ص320.**

فحسب، بل تريد إحداث أثر نفسي مباشر؛ والوصية التي تتوجه إلى المؤدب لا تريد تقرير نظام التعليم فحسب، بل تريد بناء مقام تربوي مهيب؛ والكتاب إلى العمال لا يريد تبليغ التعليمات فقط، بل يريد إضفاء معنى أخلاقي على الإدارة.[1]

ويظهر التوازن بين الفكرة والفن في استعمال الجمل المتوازية. ففي الخطبة نجد تراكيب من نوع: سارعوا إلى المغفرة بالتوبة، وإلى الرحمة بالتقوى، وإلى الهدى بالأمانة. هذه البنية تقوم على تكرار حرف الجر، وتوازن المصدر والاسم، وتدرج المعنى من المغفرة إلى الرحمة إلى الهدى. فليست الجملة هنا قائمة على معنى واحد، بل على سلم دلالي وإيقاعي. وهذه الطريقة تجعل المتلقي يحفظ المعنى عن طريق النغم، ويستقبل القيم في صورة منظمة. إنها بلاغة إقناع لا بلاغة زخرفة.[2]

ولعل الجاحظ حين يتحدث عن «أحسن الكلام» يلفت النظر إلى ضرورة مطابقة اللفظ للمعنى والمقام. وهذه الفكرة ضرورية في قراءة خطاب الرشيد؛ لأن النصوص المنسوبة إليه تختلف أساليبها باختلاف مقاماتها. فالخطبة أكثر وعظا وإيقاعا، والوصية أكثر توجيها وتربية، والكتاب أكثر أمرا ومحاسبة. غير أن وحدة القيم تجعل هذه النصوص متقاربة في روحها العامة. وهذا يعني أن الأدبية ليست قالبا واحدا، بل قدرة على اختيار الأسلوب الملائم للمقام.[3]

في الخطبة، يعتمد الرشيد على التصوير الزمني: الدنيا دار فناء، والآخرة دار بقاء، والإنسان سفر مجتازون. الصورة هنا لا تحتاج إلى زخرف معقد؛ لأنها تقوم على استعارة كبرى تجعل الحياة سفرا. وهذه الاستعارة شائعة في الوعظ، لكنها تكتسب قيمتها من موضعها في خطاب الخليفة؛ إذ يتحول السلطان نفسه إلى واعظ يذكر الناس بأن سلطانه وسلطانهم إلى زوال. وعلى هذا المستوى تتولد مفارقة أدبية: المتكلم الأقوى في الدنيا يذكر الناس بضعف الدنيا.[4]

وفي الكتاب إلى العمال، يضعف التصوير الوعظي المباشر ويقوى النسق الحجاجي. فالنص يعتمد على ترتيب المسؤوليات، وتحديد المخاطبين، وتقديم النصح في صورة أوامر. وهذا يقتضي لغة أوضح وأشد مباشرة. لكن المباشرة لا تلغي الأدبية؛ لأن الأدبية هنا تكمن في بنية الخطاب السلطاني: كيف يوزع الأمر، وكيف يستدعي الخوف، وكيف يجعل الوظيفة الإدارية مجالا للحساب. ومن ثم فإن الرسالة السياسية في التراث العربي تحتاج إلى أدوات تحليل تختلف عن أدوات تحليل الخطبة، وإن كانت تشترك معها في مفهوم البيان.[5]

أما الوصية، فتجمع بين الخطاب التربوي والخطاب السياسي. فهي فنية لأنها تختار صورة المؤدب الحارس على عقل الأمير، وسياسية لأنها تجعل تربية الأمير جزءا من مستقبل الدولة. إن النص يضع المؤدب في منزلة خطيرة؛ فهو ليس خادما في القصر، بل شريك في صناعة الخليفة القادم. وهذا المعنى يفسر شدة نبرة الرشيد في الوصية، كما يفسر كثافة

---

[1] **أحمد زكي صفوت، *جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة*، المكتبة العلمية، بيروت، ج3، ص83.**

[2] **ابن عبد ربه الأندلسي، *العقد الفريد*، تحقيق: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1983، ج4، ص191.**

[3] **الجاحظ، *البيان والتبيين*، المرجع السابق، ص23.**

[4] **أحمد زكي صفوت، *جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة*، المكتبة العلمية، بيروت، ج3، ص83.**

[5] **الطبري، *تاريخ الرسل والملوك*، المصدر السابق، ص283.**

الأوامر والنواهي فيها. فالسلطة تبدأ باللغة: ما يتعلمه الأمير من أدب سيظهر لاحقا في مجلس الحكم والمنبر والكتاب.[1]

ومن علامات التوازن الفني أن النصوص لا تغرق في السجع المصطنع. نعم، يوجد فيها إيقاع وموازنة، لكنها غالبا لا تضحي بالمعنى من أجل الزينة. وهذا قريب من مبدأ الجاحظ في أن البيان منزلة بين الإسهاب والإيجاز، إذ لا يكون الكلام بليغا بمجرد طوله أو قصره، بل بمقدار إصابته للغرض. وفي خطاب الرشيد، نجد ميلا إلى التكثيف حين يكون المقام مقام أمر، وإلى البسط حين يكون المقام مقام وعظ. وهذا الاختلاف يؤكد وعي النص بالمقام.[2]

إن التوازن بين الفكرة والبعد الفني هو ما يمنح خطاب الرشيد قيمته الأدبية. فلو كان الخطاب مجرد أوامر سياسية لفقد بعده الجمالي، ولو كان مجرد زخرفة لفظية لفقد قوته التاريخية. لكنه يجمع بين الأمرين: يعبر عن دولة، ويصنع في الوقت نفسه صورة لتلك الدولة في المخيال. لذلك يمكن القول إن أدبية الخطاب النثري عند الرشيد تتجلى في تحويل السلطة إلى لغة، وتحويل اللغة إلى أداة لتثبيت السلطة وتوجيه المجتمع.[3]

2. الرمز و المعنى:

لا تعتمد رمزية خطاب الرشيد على الغموض، بل على تكثيف الإشارات. فحين تذكر الكعبة في العهد، لا يحتاج النص إلى شرح معناها الرمزي؛ لأنها حاضرة في وعي الجماعة بوصفها مركز القداسة والوحدة. وحين يرد القرآن في الخطبة، لا يعمل بوصفه زينة، بل بوصفه سلطة دلالية تعلو على سلطة المتكلم. وحين يكثر ذكر الموت، لا يكون ذلك تذكيرا فرديا فحسب، بل نقدا ضمنيا للاغترار بالملك والمال والجاه. من هنا تبدو الرمزية في خطاب الرشيد واضحة لكنها عميقة، لأنها تستند إلى رموز مشتركة بين المتكلم والمخاطبين.[4]

أول هذه الرموز هو «الأمانة». فهي في ظاهر الخطاب قيمة أخلاقية، لكنها في العمق رمز لعلاقة الإنسان بكل ما حمله: الدين، والمال، والحكم، والرعية، والولد، والوظيفة. ولذلك تستطيع كلمة واحدة أن تربط الخطبة بالوصية والرسالة. ففي الخطبة تكون الأمانة شرطا للإيمان، وفي الوصية تكون التربية أمانة في عنق المؤدب، وفي كتاب العمال تكون الولاية أمانة أمام الخليفة والله والناس. هذه القدرة على التوسع الدلالي تجعل الأمانة مركزا رمزيا في الخطاب.[5]

وثاني الرموز هو «السفر». فالناس في الخطبة سفر مجتازون، أي أنهم ليسوا مقيمين في الدنيا. هذه الصورة تنقل المخاطب من واقع الاستقرار اليومي إلى أفق الرحيل. لكنها لا تقصد الزهد السلبي، بل تقصد ترتيب السلوك السياسي والاجتماعي على أساس أن السلطة والمال والعمر مؤقتة. ومن ثم فالسفر رمز يضعف التعلق بالدنيا ويقوي معنى

---

[1] **أحمد زكي صفوت، *جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة*، المرجع السابق، ص85.**

[2] **الجاحظ، *البيان والتبيين*، المرجع السابق، ص46**

[3] **الطبري، *تاريخ الرسل والملوك*، المصدر السابق، ص347.**

[4] **الطبري، *تاريخ الرسل والملوك*، المصدر السابق، ص281.**

[5] **أحمد زكي صفوت المرجع السابق، ص83.**

المسؤولية. وفي مقام الخليفة، تصبح هذه الصورة أكثر قوة؛ لأن المتكلم نفسه صاحب دنيا واسعة، ومع ذلك يجعل الدنيا معبرا لا مستقرا.[1]

وثالث الرموز هو «الكتاب». والكتاب هنا له معنيان: كتاب الله الذي يستند إليه الوعظ، والكتاب السلطاني الذي يصدر إلى العمال. وبين المعنيين علاقة دقيقة: الأول يمنح الشرعية العليا، والثاني ينظم الشرعية العملية. فالقرآن يؤسس المعنى، والرسالة الإدارية تطبقه في مجال الدولة.

ومن هنا يمكن قراءة خطاب الرشيد بوصفه انتقالا من الكتاب المقدس إلى الكتاب السلطاني، ومن الوحي بوصفه مرجعا إلى الكتابة بوصفها أداة حكم.[2]

أما المعاني الضمنية فتظهر في ما لا يقوله النص مباشرة. فعندما يشدد الرشيد على العمال، فهذا يعني أن جهاز الدولة قابل للفساد وأن الظلم ليس احتمالا بعيدا. وعندما يوصي مؤدب الأمين، فهذا يعني أن الوراثة السياسية تحتاج إلى صناعة أدبية وأخلاقية، وأن النسب وحده لا يكفي. وعندما يوضع العهد في الكعبة، فهذا يعني أن الخلافة تحتاج إلى ضمانة رمزية تتجاوز الثقة الشخصية بين الأبناء. هذه المعاني الضمنية مهمة لأنها تكشف توترات السياسة العباسية من داخل النص.[3]

ومن الرموز السياسية أيضا صورة الثغر والروم. فالأخبار التي تذكر دخول القاسم أرض الروم وفتح هرقلة لا تخاطب الخارج فحسب، بل تخاطب الداخل كذلك؛ لأنها ترسم للخليفة صورة الحامي المنتصر. في الوعي الجمعي، تحتاج الخلافة إلى إنجازات تثبت قدرتها على حماية الحدود. ولذلك يصبح الخبر العسكري جزءا من خطاب الهوية، حتى إن ورد في كتاب تاريخي لا في خطبة. والباحث في الأدبية يستطيع أن يقرأ هذه الأخبار بوصفها مكونات في سردية الرشيد لا مجرد وقائع منفصلة.[4]

وتكشف الرمزية كذلك عن حضور ثنائية الخوف والرجاء. فالخطبة تخوف من الموت والحساب، لكنها تفتح باب المغفرة والرحمة والهدى. هذه الثنائية لا تبني معنى دينيا فحسب، بل تبني سياسة نفسية للمخاطبين. فالخوف وحده قد يؤدي إلى القنوط، والرجاء وحده قد يؤدي إلى التراخي، أما الجمع بينهما فينتج توازنا. ومن الناحية الفنية، يتحقق هذا التوازن عبر التقابل في الجمل والمعاني، وهو ما يمنح الخطاب إيقاعا داخليا واضحا.[5]

---

[1] ابن عبد ربه الأندلسي، *العقد الفريد*، تحقيق: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1983، ج4، ص191.

[2] الطبري، *تاريخ الرسل والملوك*، المصدر السابق، ص283.

[3] نفسه، ص281.

[4] نفسه، ص307.

[5] الجاحظ، *البيان والتبيين*، المرجع السابق، ص24-27.

وفي ضوء ذلك، يمكن القول إن الرمزية في خطاب الرشيد ليست رمزية شعرية مبهمة، بل رمزية خطابية وظيفية. إنها رمزية تعمل على تثبيت القيم: الكعبة تثبت الشرعية، والقرآن يثبت الحجة، والأمانة تثبت المسؤولية، والسفر يثبت فناء الدنيا، والثغر يثبت وظيفة الخلافة الحامية. وهذه الرموز مجتمعة تجعل النصوص المنسوبة إلى الرشيد شبكة دلالية متكاملة، لا مجرد نصوص متفرقة حفظتها كتب الأدب والتاريخ.[1]

3. تحليل نماذج مختارة من الرسائل و الخطب:

1.3 خطبة هارون الرشيد:

تبدأ الخطبة بنداء جامع: «عباد الله». وهذا النداء، على بساطته، يحدد علاقة المتكلم بالمخاطبين. فالرشيد لا يقول: يا أهل بغداد، أو يا رعيتي، بل يستعمل صيغة ترد الجميع إلى عبودية الله. هنا تتراجع الحدود الاجتماعية والسياسية أمام هوية دينية أعم. ومن الناحية الأدبية، ينجح النداء في تحقيق تهيئة نفسية؛ إذ يضع السامع منذ اللحظة الأولى في مقام الموعظة لا في مقام الخبر. وقد أثبت أحمد زكي صفوت هذه الخطبة في باب الخطب والوصايا في العصر العباسي الأول، كما أورد ابن عبد ربه نصا لها في *العقد الفريد* ضمن خطب بني العباس.[2]

بعد النداء، تعتمد الخطبة على جمل تقريرية وأمرية: لم تخلقوا عبثا، لن تتركوا سدى، حصنوا إيمانكم بالأمانة، ودينكم بالورع. هذا التتابع يجمع بين العقيدة والسلوك. فالجملة الأولى تنفي العبث، والجملة الثانية تنفي الإهمال، ثم تأتي الجمل الأمرية لتحدد طريق النجاة. وهذه البنية تمثل انتقالا من أصل كلي إلى واجبات عملية. ومن الناحية البلاغية، فإن النفي المتكرر «لم» و«لن» يصنع أرضية يقينية، ثم تأتي الأوامر لتبني عليها الفعل المطلوب.[3]

وتستعمل الخطبة ثنائيات متوازية: الإيمان والأمانة، الدين والورع، الصلاة والزكاة. هذه الثنائيات تكشف أن الخطاب لا يرى العبادات منفصلة عن الأخلاق؛ فالإيمان يحتاج إلى أمانة، والدين يحتاج إلى ورع، والصلاة تحتاج إلى زكاة. وفي ذلك انتقال من التدين الشكلي إلى التدين العملي. وهذا المعنى مهم سياسيا؛ لأن الدولة لا تنتظم بمجرد الشعائر، بل تحتاج إلى أمانة في التعامل وورع في السلطة والمال. وهكذا تتحول القيم الدينية إلى شروط اجتماعية وسياسية.[4]

ومن التقنيات الفنية البارزة في الخطبة الاقتباس القرآني. فالخطبة لا تورد الآيات في آخر النص بوصفها خاتمة، بل تجعلها جزءا من بنائه الداخلي. وهذه التقنية تمنح النص سلطة مرجعية، وتجعله يتحرك بين كلام الخليفة وكلام الوحي. وقد لاحظ الجاحظ أهمية توشيح الخطب بآي القرآن والأشعار في تقوية الأثر البلاغي؛ ويدل ذلك على أن الثقافة العربية القديمة كانت واعية بقيمة الاستشهاد في صناعة البيان.[5]

---

[1] **الطبري، *تاريخ الرسل والملوك*، المصدر السابق، ص320.**

[2] **أحمد زكي صفوت، *المرجع السابق*، ص83.**

[3] **ابن عبد ربه الأندلسي، المرجع السابق، ص191.**

[4] **أحمد زكي صفوت، *المرجع السابق*، ص83.**

[5] **الجاحظ، *البيان والتبيين*، المرجع السابق، ص36.**

كما تتسم الخطبة بحضور صورة الموت. فهي تذكر الآباء والأبناء والأحبة والعشائر الذين اختطفهم الموت، ثم تصور انقطاع الأسباب وتسليم الإنسان إلى عمله. هذه الصورة ليست مجرد تذكير، بل مشهد كامل: بيت، أهل، اختطاف، انقطاع، موقف، حساب. الأدبية هنا في تحويل الفكرة المجردة، وهي فناء الدنيا، إلى صور محسوسة تستثير ذاكرة السامع وتجربته. فالكل رأى موت قريب أو حبيب، ولذلك يصبح البرهان الوعظي متصلا بالخبرة لا بالمجردات.[1]

2.3 . وصية الرشيد لمؤدب ولده الأمين

تمثل الوصية نوعا خاصا من الخطاب؛ فهي لا تخاطب الجمهور، بل تخاطب فردا محددا هو المؤدب. ومع ذلك فإن أثرها يتجاوز الفرد؛ لأنها تتعلق بتكوين ولي العهد. إن الرشيد هنا يتحدث بصفته أبا وخليفة في الوقت نفسه. فالأب يريد صلاح ولده، والخليفة يريد صلاح من سيحمل أمر الدولة. ومن ثم يجتمع الخاص والعام في نص واحد. وقد أورد أحمد زكي صفوت هذه الوصية في *جمهرة خطب العرب*، وهي تصلح شاهدا أساسيا على البعد التربوي في الخطاب النثري العباسي.[2]

تقوم الوصية على تصور عميق لوظيفة الأدب. فالأدب ليس حفظ الشعر واللغة فقط، بل هو صناعة عقل سياسي قادر على الكلام والفهم والتصرف. لذلك يلح الخطاب على المؤدب أن يأخذ الأمير بالحزم وأن يعلمه محاسن القول والعمل. وهذه النظرة تجعل الأدب جزءا من إعداد السلطان. فالخليفة في الثقافة العباسية يحتاج إلى علم ولسان ومجلس، كما يحتاج إلى جيش ومال. ومن هنا نفهم لماذا كان المؤدب شخصية مركزية في القصر العباسي.[3]

والوصية تكشف أيضا عن وعي الرشيد بخطر الترف على أبناء الملوك. فحين يطلب من المؤدب الشدة أو الحزم، فهو لا يقصد القسوة لذاتها، بل يقصد حماية الأمير من رخاوة النشأة. إن الخطاب يفترض أن القرب من السلطة قد يفسد النفس إذا لم تضبط بالتربية. وهذه الفكرة تجعل الوصية نصا أخلاقيا وسياسيا في آن واحد: أخلاقيا لأنها تهذب الفرد، وسياسيا لأنها تحمي مستقبل الحكم من ضعف التربية.[4]

ومن الناحية الفنية، تختلف لغة الوصية عن لغة الخطبة. فهي أقل اعتمادا على مشاهد الآخرة، وأكثر اعتمادا على التوجيه العملي. غير أنها تحتفظ بالإيقاع السلطاني: أمر، نهي، تعليل، تحذير. وهذا ينسجم مع مقامها؛ لأن المؤدب لا يحتاج إلى موعظة عامة، بل إلى برنامج عمل. وهنا تظهر مرونة الخطاب النثري عند الرشيد: فهو يغير أدواته بحسب المخاطب، لكنه يحافظ على قيمه المركزية.[5]

---

[1] **ابن عبد ربه الأندلسي، *المرجع السابق*، ص191.**

[2] **أحمد زكي صفوت، *جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة*، المرجع السابق، ص85.**

[3] **نفسه، ص85.**

[4] **ابن قتيبة، *عيون الأخبار*، المرجع السابق، ص13.**

[5] **الجاحظ، *البيان والتبيين*، المرجع السابق، ص46.**

3.3 كتاب الرشيد إلى العمال

يمثل كتاب الرشيد إلى العمال نصا مهما في فهم أدبية الإدارة. فالخطاب الإداري في التراث العباسي ليس مجرد أوامر جافة، بل نص يتضمن رؤية للسلطة والعدل والرعية. وقد أورد الطبري نسخة هذا الكتاب في سياق أخبار سنة ست وثمانين ومائة، وهي السنة التي شهدت كتابة العهد وتنظيم شأن الولاية. وهذا السياق يجعل الرسالة جزءا من مرحلة إعادة ترتيب سياسية وإدارية داخل الدولة.[1]

يتوجه الكتاب إلى العمال بوصفهم امتدادا للخليفة في الأمصار. ولهذا تشدد لغته على المسؤولية. فالعامل لا يمثل نفسه؛ إنه يمثل وجه الدولة أمام الناس. فإذا عدل، بدا العدل صفة للدولة، وإذا ظلم، بدا الظلم صفة لها. وهذه الفكرة تمنح الخطاب الإداري قيمة أدبية؛ لأنه يجعل صورة الدولة متولدة من اللغة والفعل معا. فالرسالة لا تقول للعمال ماذا يفعلون فقط، بل تحدد لهم كيف ينبغي أن يفهموا موقعهم داخل نظام الحكم.[2]

ومن الناحية الأسلوبية، يكثر في هذا النوع من الرسائل فعل الأمر والنهي، لكن الأمر لا يأتي عاريا من التعليل. فالخطاب يربط الأوامر بالمصير الأخلاقي والسياسي. وهذا يضع العمال في دائرة المراقبة: مراقبة الخليفة، ومراقبة الناس، ومراقبة الله. إن تعدد دوائر الرقابة يجعل النص أقوى من مجرد قرار إداري؛ لأنه يحول المخالفة إلى خيانة للأمانة، لا إلى خطأ وظيفي فقط.[3]

4.3 عهد الكعبة و تنظيم ولاية العهد:

يكتسب عهد الكعبة قيمته من مضمونه ومن مقامه. فالمضمون يتعلق بتنظيم الولاية بين أبناء الرشيد، والمقام يتعلق بوضع الشرط في الكعبة. إن الجمع بين السياسة والفضاء المقدس ينتج خطابا رمزيا قويا؛ لأن الكعبة تجعل العهد مشهودا في أقدس مكان. ومن ثم فإن النص لا يكتفي بإعلان ترتيب سياسي، بل يحاول أن يمنحه ضمانة روحية واجتماعية. وقد أورد الطبري نسخة الشرط ضمن أخبار سنة ست وثمانين ومائة، في الصفحات التي تلي ذكر حج الرشيد وكتابة العهد لأبنائه.

تظهر أدبية العهد في لغته التعاقدية. فهو يقوم على الشرط والالتزام، وعلى تحديد الحقوق والواجبات. وهذه اللغة تختلف عن الخطبة والوصية، لكنها لا تقل أدبية عنهما؛ لأنها تنظم المستقبل بواسطة النص. فالكتابة هنا أداة لصناعة الزمن السياسي: تحدد من يلي، وما حدود الطاعة، وما شروط الالتزام. وإذا كانت الخطبة تؤثر في الحاضر، فإن العهد يحاول ضبط المستقبل. وهذه وظيفة نثرية عالية في ثقافة الدولة.

---

[1] **الطبري، *تاريخ الرسل والملوك*، المصدر السابق، ص283.**

[2] **ابن قتيبة، *عيون الأخبار*، المرجع السابق، ص20.**

[3] **الطبري، *تاريخ الرسل والملوك*، المصدر السابق، ص283.**

غير أن المعنى الضمني في العهد يكشف أيضا عن قلق سياسي. فلو كان انتقال السلطة مضمونا بطبيعته، لما احتاج إلى كل هذا التوثيق الرمزي. لذلك يدل العهد على أن الخلافة، وهي في أوج قوتها، كانت تدرك هشاشة المستقبل. وهذا ما وقع فعلا بعد وفاة الرشيد حين تطور الخلاف بين الأمين والمأمون. ومن هنا يصبح العهد شاهدا على محاولة اللغة أن تمنع الفتنة، وإن كانت اللغة لا تملك دائما أن تضبط مسار التاريخ.[1]

5.3 خطاب القوة في أخبار الروم

لا ترد أخبار الرشيد مع الروم في صورة خطبة طويلة دائما، لكنها تؤدي وظيفة خطابية داخل السرد التاريخي. فذكر دخول القاسم أرض الروم وفتح هرقلة يصنع صورة للخليفة القادر على حماية الثغور. وهذه الصورة جزء من أدبية السرد السياسي؛ لأن المصدر لا ينقل الوقائع فحسب، بل يرتبها بما يخدم تمثيل الخليفة. ويهم الباحث هنا أن يقرأ الخبر التاريخي بوصفه عنصرا في بناء صورة الرشيد في الذاكرة العربية.[2]

في خبر هرقلة، تتكثف دلالة القوة والهيبة. فالفتح ليس حدثا عسكريا فقط، بل علامة على أن مركز الخلافة قادر على الوصول إلى أطراف الصراع. وحين توضع هذه الأخبار إلى جانب خطب الوعظ، تتكون مفارقة منتجة: الرشيد واعظ في الداخل، وقائد في الخارج. هذه الثنائية ترفع صورة الخليفة إلى نموذج يجمع بين التقوى والقوة. ومن الناحية الأدبية، فإن اجتماع هاتين الصورتين يمنح شخصية الرشيد كثافة رمزية في المصادر.[3]

6.3 أخبار السيرة وصورة الخليفة

تأتي أخبار «بعض سير الرشيد» عند الطبري لتكمل الصورة. ففيها لا يظهر الرشيد من خلال نص واحد، بل من خلال أخبار متفرقة ترسم طبعه وسلوكه ومواقفه. وهذه الأخبار، وإن كانت تاريخية، تسهم في بناء أفق قراءة خطبه ورسائله. فالنصوص لا تعيش وحدها، بل تتأثر بالصورة العامة التي تصنعها المصادر عن صاحبها. لذلك ينبغي للباحث أن يستعمل هذه الأخبار بحذر: يستفيد منها في فهم السياق، لكنه لا يجعلها بديلا عن تحليل الخطاب نفسه.[4]

ومن المفيد هنا مقابلة الطبري بابن الأثير وابن كثير، لا لتكرار الخبر، بل لمعرفة كيف استمرت صورة الرشيد في المؤلفات اللاحقة. فابن الأثير يعيد بناء السرد التاريخي في *الكامل* ضمن رؤية جامعة للتاريخ الإسلامي، وابن كثير يورد أخبار الرشيد في سياق السيرة العامة للخلفاء والوقائع. هذه المقابلة تمنع الاعتماد على مصدر واحد، لكنها لا تلغي أن النصوص الأدبية نفسها ينبغي أن تؤخذ من مصادر الأدب والخطب حين يكون موضوع البحث أدبية الخطاب.[5]

---

[1] الطبري، *المصدر السابق*، ص281.

[2] نفسه، ص307.

[3] الطبري، *المصدر السابق*، ص320

[4] نفسه، ص347.

[5] ابن الأثير، *الكامل في التاريخ*، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1417هـ/1997م، ج5، ص385-388.

يتبين من تحليل النماذج أن خطاب الرشيد لا يستقر في نوع واحد. فهو خطبة ووصية ورسالة وعهد وخبر سلطاني. ولكل نوع أدواته: النداء والاقتباس في الخطبة، الأمر التربوي في الوصية، الصيغة الإدارية في الرسالة، الشرط والتوثيق في العهد، والسرد البطولي في أخبار الروم. لكن هذه الأنواع جميعا تشترك في منظومة دلالية واحدة: الأمانة، العدل، التقوى، الحزم، الهوية، وحماية الجماعة. وهذا الاشتراك هو ما يسمح بالحديث عن بنية موضوعية ودلالية في خطاب الرشيد، لا عن نصوص متناثرة فقط.[1]

[1] **أحمد زكي صفوت، *المرجع السابق*، ص83.**

الفصل الثاني: الخصائص البلاغية و التفاعلات الأدبية في الخطاب النثري

المبحث الأول :الأساليب الفنية و البناء اللغوي .

المبحث الثاني: التفاعل بين الأدبية و الوظيفي

المبحث الأول: الأساليب الفنية و البناء اللغوي

1. البنية الأسلوبية و الإيقاع الداخلي في خطابه.

تعد البنية الأسلوبية و الإيقاع الداخلي من أهم العناصر التي اعتمد عليها هارون الرشيد في خطبه .حيث ظهرت في :

1.1 خطبة يوم الجمعة:

الحمد لله مستخلص الحمد لنفسه، ومستوجبه على خلقه؛ أحمده و أستعينه؛ وأومن به وأتوكل عليه؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله؛ أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون. أوصيكم عباد الله ونفسي بتقوى الله وحده، والعمل لما عنده، والتنجّز لوعده، والخوف لوعيده؛ فإنه لا يسلم إلا من اتقاه ورجاه، وعمل له وأرضاه .

فاتقوا الله عباد الله وبادروا آجالكم بأعمالكم؛ وابتاعوا ما يبقى بما يزول عنكم ويفنى، وترحلوا عن الدنيا، فقد جدّ بكم، واستعدّوا للموت فقد أظلّكم، وكونوا كقوم صيح بهم فانتبهوا، وعلموا أن الدنيا ليست لهم بدار فاستبدلوا؛ فإن الله عز وجل لم يخلقكم عبثا، ولم يترككم سدى، وما بين أحدكم وبين الجنة والنار إلا الموت أن ينزل به، وإن غاية تنقصها اللحظة وتهدمها الساعة الواحدة لجديرة بقصر المدّة، وإن غائبا يحدوه الجديدان الليل والنهار لجدير بسرعة الأوبة، وإن قادما يحل بالفوز أو الشقوة لمستحق لأفضل العدّة، فاتقى عبد ربه ونصح نفسه وقدّم توبته وغلب شهوته، فإن أجله مستور عنه، وأمله خادع له، والشيطان موكّل به يزيّن له المعصية ليركبها، ويمنّيه التوبة ليسوّفها، حتى تهجم عليه منيته أغفل ما يكون عنها، فيا لها حسرة على كل ذي غفلة أن يكون عمره عليه حجة، أو تؤدّيه أيامه إلى شقوة؛ نسأل الله أن يجعلنا وإياكم ممن لا تبطره نعمة، ولا تقصّر به عن طاعة ربه غفلة، ولا يحل به بعد الموت فزعة، إنه سميع الدعاء، بيده الخير وهو على كل شيء قدير، فعّال لما يريد[1]

البنية الاسلوبية:

تجلت البنية الاسلوبية في خطبة يوم الجمعة لهارون الرشيد بالجمع بين الأسلوب الانشائي والأسلوب الخبري لغرض التأثير.

فقد بدا هارون الرشيد خطبته بالأسلوب الخبري في قوله "الحمد لله أحمده و أستعينه ، و أمن به و أتوكل عليه"[2] فالغرض منه تقرير العقيدة و تثبيتها في نفوس السامعين، و بعدها انتقل مباشرة الى الأسلوب الانشائي الطلبي القائم على الأمر في قوله" فاتقوا الله عباد الله و استعدوا للموت فقد أظلكم"[3]. وهنا اعتمد على قصر الجمل و تكرار الأوامر

1ابن عبد ربه، العقد الفريد، تحقيق: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1983، ج 4، ص 105/104.

:هارون الرشيد، خطبة يوم الجمعة

[3] نفسه

ليحدث صدمة وجدانية توقظ النفس الغافلة لأنها مقام التحذير من الموت لهذا يتطلب لهجة حاسمة لا تحتمل التطويل.

و لم يتوقف هارون الرشيد عند التهريب العاطفي ، بل قام بدعمه بالأسلوب الخبري المؤكد ب "أن" في قوله " فإن الله لم يخلقكم عبثا، و لم يترككم سدى"[1] وهنا خاطب هارون الرشيد العقل بعد القلب ، و قدم المبرر الذي يجعل لاستعداد للموت اجباريا و واجبا لا خيارا ، فالله لم يخلق الإنسان بلا غاية.

وختم هارون الرشيد خطبته بالأسلوب الانشائي الطلبي الدعائي في قوله " جعلنا الله و إياكم من الذين يعملون"[2] وهذا الختام يفتح باب الرجاء بعد أن ضيقه بالترهيب حتى لا يغادر السامع من الخطبة وهو يائس من رحمة الله.

جمعت الخطبة بين الإنذار و التبشير و كذلك بين الأسلوب الخبري و الأسلوب الانشائي فقد بين هارون الرشيد أحوال السامعين النفسية ، فبدا بإمالة نفوسهم للاستماع ثم تخويفهم ثم اقناعهم و في الأخير اطمئنانهم.

الإيقاع الداخلي:

اعتمد هارون الرشيد على الإيقاع الداخلي ليحقق التأثير السمعي المباشر لدى السامعين ، دون أن يلجأ إلى الوزن الشعري ،او القافية الموحدة.

استخدم هارون الرشيد التوازي التركيبي في قوله "أحمده و أستعينه ، و أومن به و أتوكل عليه "[3] نلاحظ في الجمل جاءت على نسق واحد و هذا ما يولد نغمة منتظمة تساعد على ترسيخ معاني العبودية و التوحيد . و قد عزز هذا الإيقاع ب السجع القصير في فواصل الجمل مثل قوله" فاتقوه الله عباد الله ، و استعدوا للموت فقد أظلكم"[4] هنا نجد توافق بين عباد الله و أظلكم في الحرف الأخير مما يحدث جرسا موسيقيا ، فالغرض منه هو منع شرود ذهن السامع ، فكل جملة تنتهى بنغمة موسيقية تؤدي الى الانتباه من جديد و هذا ما يناسب مقام الحذير من الموت لأجل اليقظة و الانتباه المستمر.

و كذلك وظف هارون الرشيد التكرار الصوتي في قوله" واعلموا أنكم ميتون ... و اعلموا لما بعد الموت"[5] من خلاله فقد خلق إيقاعا لفظيا يربط بين العلم و العمل ، وكانت له وظيفة دلالية فهو لم يكن لزينة فقط.

---

[1] **نفسه**

[2] **نفسه**

[3] **نفسه**

[4] **نفسه**

[5] **نفس المرجع السابق**

من خلال التكرار الصوتي و السجع يتضح أن هارون الرشيد تعمد انشاء ايقاعا داخلي سريعا و متلاحقا. فهذا النوع من الإيقاع يتناسب مع غرض الخطبة القائم على الترهيب و الإنذار.

1 ـ 2 : خطبة يوم عيد الأضحى:

قال بعد التكبير والتحميد: إن يومكم هذا يوم أبان الله فضله، وأوجب تشريفه، وعظّم حرمته، ووفّق له من خلقه صفوته، وابتلى فيه خليله، وفدى فيه من الذبح لعظيم نبيّه، وجعله خاتم الأيام المعلومات من العشر، ومقدّم الأيام المعدودات من النفر »١ «، يوم حرام من أيام عظام في شهر حرام، يوم الحج الأكبر، يوم دعا الله إلى مشهده، ونزل القرآن العظيم بتعظيمه، قال الله عز وجل :وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجالًا وَعَلى كُلِّ ضامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ

»٢ «فتقرّبوا إلى الله في هذا اليوم بذبائحكم، وعظّموا شعائر الله، واجعلوها من طيّب أموالكم، وبصحة التقوى من قلوبكم، فإنه يقول :لَنْ يَنالَ اللَّهَ لُحُومُها وَلا دِماؤُها وَلكِنْ يَنالُهُ التَّقْوى مِنْكُمْ.

ثم التكبير والتحميد، والصلاة على النبي صلّى الله عليه وسلم والوصية بالتقوى ثم ذكر الموت، ثم قال : لعظيم نبيّه، وجعله خاتم الأيام المعلومات من العشر، ومقدّم الأيام المعدودات من النفر »١ «، يوم حرام من أيام عظام في شهر حرام، يوم الحج الأكبر، يوم دعا الله إلى مشهده، ونزل القرآن العظيم بتعظيمه، قال الله عز وجل :وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجالًا وَعَلى كُلِّ ضامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ.

وما من بعده إلا الجنة أو النار، عظم قدر الدارين، وارتفع جزاء العملين وطالت مدة الفريقين؛ الله الله، فوالله إنه الجدّ لا اللّعب، والحقّ لا الكذب. وما هو إلا الموت والبعث والميزان والحساب والصراط والقصاص والثواب والعقاب. فمن نجا يومئذ فقد فاز، ومن هوى يومئذ فقد خاب، الخير كلّه في الجنة، والشرّ كله في النار[1]

أ. البنية الاسلوبية :

تجسدت البنية الاسلوبية في خطبة عيد الأضحى لهارون الرشيد بين الأسلوب الخبري و الأسلوب الانشائي .

افتتح خطبته بالأسلوب الخبري المؤكد ب" إن" في قوله "إن يومكم هذا يوم الله فضله ، و أوجب تشريفه، و عظم حرمته."[2] غرضه تعظيم يوم العيد و تثبيت حقيقة شرعية في نفوس السامعين .

بعدها انتقل الى الأسلوب الانشائي الطلبي بالأمر في قوله " فتقربوا الى الله في هذا اليوم بذبائحكم ، و عظموا شعائر الله" [3]الامر هنا جاء بحرف الفاء "فتقربوا" ليربط العمل بالنتيجة، أي أن تعظيم اليوم يوجب التقرب بالذبائح ، فهذا الأسلوب يحول المعرفة النظرية بفضل اليوم الى تكليف عملي.

---

[1] **ابن عبد ربه، العقد الفريد، تحقيق: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1983، ج 4، ص 193/192**

[2] **هارون الرشيد ، خطبة عيد الأضحى**

[3] **نفسه**

ولم يكتفي هارون الرشيد بالترغيب فقط بل ختم خطبته بالتذكير بالآخرة حيث استخدم الأسلوب الخبري المؤكد بالقسم في قوله " فوالله إنه الجد لا اللعب، و الحق لا الكذب" [1]و القسم هنا يؤكد خطورة الموقف، و ينفي أن يكون أمر البعث و الحساب من باب اللهو ، فهذي البنية تناسب خطبة العيد التي تجمع بين التبشير و الإنذار.

ب. الإيقاع الداخلي:

اعتمد هارون الرشيد على الإيقاع الداخلي في خطبته ليزيد التأثير سمعيا و يرسخ المعاني في أذهان السامع.

ظهر التوازي التركيبي في قوله" أبان الله فضله ، و أوجب تشريفه ، و عظم حرمته " [2]فهنا نلاحظ ان الجمل تتساو في البناء ، فهذا يولد نغمة منتظمة تجعل السامع يحفظ فضائل اليوم الثلاثة بسهولة .

وكذلك وجود السجع غير المتكلف في قوله" ووفق له من خلقه صفوته، و ابتلى فيه خليله ، و فدى فيه من الذبح لعظيم نبيه"[3] فهنا نجد توافق بين صفوته، خليله، نبيه، جرسا موسيقيا هادئا الغرض منه ربط الأحداث الثلاثة الكبرى التي وقعت في اليوم هذا ، نجد ان السجع هنا يخدم المعنى لا يطغى عليه. و نرى أيضا التكرار اللفظي لغرض التوكيد ،فقد كرر هارون الرشيد كلمة "اليوم" في بداية الخطبة ستة مرات وقد جاء هذا التكرار بهدف غرس هيبة اليوم في نفوس الناس ، كأن كل جملة تؤكد أن اليوم ليس كسائر الأيام .

3.1: خطبة يوم عيد الفطر:

ألا وانّ يومكم هذا يوم عيد وسنّة، وابتهال ورغبة، يوم ختم الله به صيام شهر رمضان، وافتتح به حجّ البيت الحرام، فجعله أوّل أيام شهور الحج، وجعله معقّبا لمفروض صيامك، ومتنفّل قيامكم، أحلّ الله لكم فيه الطعام، وحرّم عليكم فيه الصيام، فاطلبوا الى الله حوائجكم، واستغفروه لتفريطكم، فانه يقال: لا كثير مع ندم واستغفار، ولا قليل مع تماد واصرار.

ثم كبّر وحمّد، وذكر النبي صلى الله عليه وسلّم وأوصى بالبر والتقوى، ثم قال:

اتقوا الله عباد الله، وبادروا الأمر الذي اعتدل فيه يقينكم، ولم يحضر الشك فيه أحد منكم، وهو الموت المكتوب عليكم، فانه لا تستقال بعده عثرة، ولا تحظر قبله توبة، واعلموا أنه لا شيء قبله الا دونه، ولا شيء بعده الا فوقه، ولا يعين على جزعه وعلزه وكربه، وعلى القبر ظلمته، وضيقه ووحشته، وهول مطلعه، ومسألة ملكيه، الا العمل الصالح الذي أمر الله به، فمن زلّت عند الموت قدمه، فقد ظهرت ندامته، وفاته استقالته، ودعا من الرجعة الى ما لا يجاب اليه، وبذل من الفدية مالا يقبل منه. فالله الله عباد الله، كونوا قوما سألوا الرجعة فأعطوها اذ منعها الذين سألوها، فانه

---

[1] **نفسه**

[2] **هارون الرشيد ، خطبة عيد الأضحى**

[3] **نفسه**

ليس يتمنّى المتقدّمون قبلكم الا هذا الأجل المبسوط لكم، فاحذروا ما حذركم الله، واتقوا اليوم الذي يجمعكم فيه، لوضع موازينكم، ونشر صحفكم، الحافظة لأعمالكم. فلينظر عبد ما يضع في ميزانه ما يثقل به، وما يملي به صحيفته الحافظة لما له وعليه، ألا فقد حكى الله لكم ما قال المفرطون عندها، اذ طال اعراضهم عنها، قال جلّ ذكره: {ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربّك أحدا} ، وقال: {ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا، وان كان مثقال حبّة من خردل أتينا بها، وكفى بنا حاسبين} . ولست أنهاكم عن الدنيا بأكثر ما نهتكم به الدنيا عن نفسها، فان كل ما بها يحذر منها، وينهى عنها، وكل ما فيها يدعو الى غيرها، وأعظم مما رأته أعينكم من فجائعها وزوالها ذمّ كتاب الله لها والنهي عنها، فانه يقول تبارك وتعالى: {فلا تغرّنّكم الحياة الدنيا ولا يغرّنّكم بالله الغرور} . وقال: {اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة

وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد} . فانتفعوا بمعرفتكم بها، وبأخبار الله عنها. واعلموا أنّ قوما من عباد الله أدركتهم عصمة الله فحذروا مصارعها، وجانبوا خدائعها، وآثروا طاعة الله فيها، وأدركوا الجنّة بما يتركون منه[1]

.البنية الاسلوبية:

تجلت البنية الاسلوبية في خطبة عيد الفطر بالجمع بين الأسلوب الانشائي و الأسلوب الخبري.

استهل هارون الرشيد خطبته بالأسلوب الخبري المؤكد الذي ظهر في قوله " ألا و إن يومكم هذا يوم عيد و سنة ، و

ابتهال و رغبة ، يوم ختم الله به صيام شهر رمضان" [2] فالغرض هنا تذكير بفضل هذا اليوم و ترسيخه لناس كحقيقة ثابتة، فاستخدم هارون الرشيد "ألا" لتنبيه و "إن" لتوكيد الذي جعل السامع يستحضر عظمة اليوم هذا قبل أن يكلف بالعمل.

من بعدها انتقل مباشرة الى الأسلوب الانشائي الطلبي القائم على الأمر في قوله: "اتقوا الله عباد الله ، و بادروا الأمر الذي

اعتدل فيه يقينكم" [3] فقد حول هارون الرشيد المعرفة النظرية الى تكليف عملي ، و نلاحظ تكرار فعل الامر في "اتقوا، بادروا" فقد يحدث يقظة في نفوس الناس لان مقام العيد يقتضي العمل بعد الفرح، و لم يكتفي هارون الرشيد بالأمر فقط بل دعمه بالنهي و يظهر ذلك في قوله "فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور" فالنهي هنا مقتبس من القران الكريم فقد ورد ليحذر الناس من نسيان الأخرة في وسط فرحة العيد .

---

[1] **ابن عبد ربه، العقد الفريد، تحقيق: مفيد محمد قميحة، دارالكتب العلمية، بيروت، ط1، 1983، ج 4، ص 107/106**

[2] **هارون الرشيد، خطبة عيد الفطر**

[3] **نفسه**

في الأخير ختم هارون الرشيد خطبته بالاستشهاد بالأسلوب الخبري المؤكد ب "أن" في قوله " و اعلموا أن الحياة الدنيا لعب و لهو و زينة و تفاخر بينكم و تكاثر في الأموال و الأولاد " [1] فهنا خاطب الخطيب العقل قبل القلب ليقنع السامع بتفاهة الدنيا .

من هنا فأن هارون الرشيد قد راعى أحوال السامعين و بدا بتعظيم اليوم ، ثم قام بأمرهم و نهاهم ، ثم حاول اقناعهم بوجود دليل و هاته البنية التي تناسب مع الخطبة.

.الاقناع الداخلي :

اعتمد هارون الرشيد في خطبته هاته على الإيقاع الداخلي الذي يعمل على التأثير و ترسيخ المعاني في ذهن السامع .

فقد ظهر هذا الاقناع في توازي تركيبي في قوله "أحل الله لكم فيه الطعام ، و حرم عليكم فيه الصيام " [2] فهنا نجد ان الجملتان متساويتان في البناء، وهذا التماثل يولد نغمة منتظمة تسهل حفظ احكام العيد.

و تحمل الخطبة كذلك السجع القصير الذي ظهر في قوله "لا كثير مع ندم و استغفار ولا قليل من تماد و إصرار " [3] فهنا يوجد توافق بين إصرار و استغفار فحرف الراء هو الذي احدث جرسا سريعا يناسب مقام التحذير .

وقد اعتمد هارون الرشيد كذلك على التكرار اللفظي في قوله " الموت مكتوب عليكم ... فإنه لا تستقال بعده عثرة... ولا شيء بعده إلا فوقه " [4] نلاحظ تكرار كلمة بعده الذي جاء بصدد ترسيخ أن الموت قاطع لا رجعة بعده .

جاء أيضا في الخطبة التوازن الصوتي في وصفه للقبر في قوله " ظلمته ، ضيقته ، وحشته" فالعبارات تجسد أهوال القبر ليزيد وقعها على النفس ، لان السامع يحفظ المعنى بتكرار الإيقاع.

1 ـ 4 : خطبة وعظية

الحمد لله نحمده على نعمه ، و نستعينه على طاعته ، و نستنصره على أعدائه ، و نؤمن به حقا ، و نتوكل عليه مفوضين إليه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، و أشهد أن محمد عبده و رسوله ، بعثه على فترة من الرسل ، و دروس من العلم ، و إدبار من الدنيا ، و إقبال من الاخرة ، بشيرا بالنعيم المقيم ، و نذيرا بين يدي عذاب أليم ، فبلغ

---

[1] **نفسه**

[2] **نفس المرجع السابق**

[3] **نفسه**

[4] **هارون الرشيد، خطبة يوم عيد الفطر**

الرسالة ، و نصح الأمة ، و جاهد في الله فادى عن الله وعده ووعيده ، حتى أتاه اليقين . فعلى النبي من الله صلاة و رحمة و سلام .

أوصيكم ، عباد الله ، بتقوى الله ،فإن في التقوى تكفير السيئات و تضعيف الحسنات ، و فوزا بالجنة ونجاة من النار . و أحذركم يوما تشخص فيه الأبصار ، و تبلى فيه الأسرار، يوم البعث و يوم التغابن ، و يوم التلاق و يوم التناد ، يوم لا يستعتب من سيئة ، ولا يزداد في حسنة ؛ يوم الازفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظلمين ، ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع ، يعلم فيه خائنة الأعين و ما تخفي الصدور. و اتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت ،وهم لا يظلمون .

عباد الله ،إنكم لم تخلقوا عبثا، ولن تتركوا سدى . حصنوا إيمانكم بالأمانة ، و دينكم بالورع ، و صلاتكم بالزكاة ، فقد جاء في الخبر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: { لا إيمان لمن لا أمانة له ، ولا دين لمن لا عهد له ، ولا صلاة لمن لا زكاة له }. إنكم سفر مجتازون ، و انتم عن قريب من دار فناء إلى بقاء . فسارعوا إلى المغفرة بالتوبة ، و الى الرحمة بالتقوى ، و إلى الهدى بالإنابة فإن الله ، تعالى ذكره ، أوجب رحمته للمتقين ، و مغفرته للتائبين ، و هداه للمنيين . قال الله ، عز و جل ، و قوله الحق: { و رحمتي وسعت كل شيء، فسأكتبها للذين يتقون و يؤتون الزكاة } و قال: { وإني غفار لمن تاب و امن و عمل صالحا ثم اهتدى } و إياكم و الأماني ، فقد غرت وأردت و أوبقت كثيرا ، حتى أكذبتهم منا ياهم، فتناوشوا التوبة من مكان بعيد و حيل بينهم و بين ما يشتهون. فأخبركم ربكم عن الثلاث فيهم ، و صرف الآيات ، وضرب الأمثال ، فرغب بالوعد ، و قدم إليكم الوعيد؛ وقد رأيتم وقائعه بالقرون الخوالي ، جيلا فجيلا، و عهدتهم الآباء و الأبناء و الأحبة و العشائر ، باختطاف الموت إياهم من بيوتكم ومن بين أظهركم ، لا تدفعهم عنهم ولا تحولون دونهم ؛ فزالت عنهم الدنيا، و انقطعت بهم الأسباب، فأسلمتهم إلى أعمالهم عند الموقف و الحساب و العقاب، ليجز ى الذين أساؤوا بما عملوا و يجزى الذين أحسنوا بالحسنى.

إن أحسن الحديث و أبلغ الموعظة كتاب الله . يقول عز و جل ؛ {وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له و انصتوا لعلكم ترحمون}. أعوذ بالله العظيم من الشيطان الرجيم ؛ إنه هو السميع العليم.

بسم الله الرحمن الرحيم { قل هو الله أحد . الله الصمد. لم يلد. و لم يولد . و لم يكن له ، كفوا أحد} أمركم بما أمركم الله به، و أنها كم عما نهاكم الله عنه. و استغفر الله لي ولكم .[1]

.البنية الاسلوبية

بنية الخطبة على الأسلوب الخبري و الأسلوب الانشائي فقد ظهر في :

[1] **سعيدي ضناوي، ديوان هارون الرشيد ، دار صادرة بيروت لبنان ، 1998 ، ص 1889/188**

استهل هارون الرشيد خطبته بالأسلوب الخبري في مقدمته الطويلة و كانت بدايتها قوله" الحمد لله نحمده على نعمه ، و نستعينه على طاعته ، و نستنصره على أعدائه ، و نؤمن به حقا"[1] فلغرض منها الاستهلال و تثبيت العقيدة و كذلك تذكير السامعين بنعم الله و قدراته، فقد جاءت الأفعال نحمده ، نستعينه ، نستنصره نؤمن " بهدف ترسيخ التوحيد قبل الدخول في الوعظ.

و بعدها انتقل هارون الرشيد مباشرة بالأسلوب الانشائي الطلبي بالأمر المباشر ظهر في قوله" أوصيكم ، عباد الله ، بتقوى الله"[2] و قوله أيضا " اتقوا يوما ترجعون فيه الى الله"[3] فهنا يتحول الخطاب من التقرير الى التكليف ، و الأمر هنا قد جاء متتابعا ليشحن النفوس يوقظها. و دعم أمره بالنهي ظهر في قوله" فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور"[4] فالنهي هنا مقتبس من القران لي يكون ابلغ في التحذير .

و في الأخير ختم هارون الرشيد خطبته بالأقناع العقلي مستخدما الأسلوب الخبري المدعم بالاقتباس القران و الحديث النبوي قي قوله " لا إيمان لمن لا أمانة له "[5] .

جمع هارون الرشيد بين الترهيب و التذكير و الاستشهاد ، فهي بنية تتناسب مع الخطبة التي بدأت بالتعظيم ثم التكليف ثم الاقناع بالدليل.

.الإيقاع الداخلي:

تميز الإيقاع الداخلي في هاته الخطبة بالتأثير و الترسيخ ، فقد ظهر في التوازي التركيبي في قوله " فإن في التقوى تكفير السيئات و تضعيف الحسنات ، و فوزا بالجنة، و نجاة من النار"[6] فالتوازي هنا جاء بين تكفير السيئات و تضعيف الحسنات ، الفوز بالجنة و نجاة من النار فقد أحدث نغمات منتظمة تجعل ثمار التقوى سهلة الحفظ.

وظف هارون الرشيد كذلك السجع الذي ظهر في قوله " يوم التلاق ، يوم التناد، يوم الأزفة"[7] فتوافق الفواصل هنا يقرع السمع و يهول أمر يوم القيامة .

---

[1] **نفسه**

[2] **نفس المرجع السابق**

[3] **نفسه**

[4] **نفسه**

[5] **نفسه**

[6] **هارون الرشيد ، خطبة وعظية**

[7] **نفسه**

وقد اعتمد أيضا على التكرار الذي يدل على التوكيد في قوله " يوم لا يستعتب من سيئة ، ولا يزداد في حسنة"[1] و قوله " يومئذ لا ينفع نفسا إيمانهم لم تكن امنت من قبل" فتكرار يوم و لا ينفي كل أمل في العودة بعد الموت .

وقد جاء أيضا التوازن الصوتي في قوله " يعلم خائنة الأعين و ما تختفي الصدور"[2] فالتوازن ظهر بين" خائنة الأعين" ما "تختفي الصدور" فهنا يصور إحاطة علم الله بالظاهر و الباطن الذي يرسخ المعنى.

على الرغم من اختلاف الخطب و مناسباتهم ،ألا انهم يتفقون على بنية أسلوبية واحدة تقوم على ثنائية الهيبة و الخشوع . فهي تبدأ بإيقاع داخلي متوازن في التحميد و الشهادة لفرض القداسة ، تم تتصاعد عبر التكرار الصوتي لألفاظ الموت و الآخرة و التوازي التركيبي بين المتقابلات ك " الدنيا و الآخرة" و "الفناء و البقاء" لخلق صدمة وجدانية. و بهذا يتحول الإيقاع من مجرد زينة لفظية الى أداة سلطوية توحد بين صورة الحاكم القوي و العابد ، فيخضع السامع بالخوف من الله قبل الخوف من الخليفة .

2.الإيجاز، الإطناب ، الصورة البيانية و المحسنات اللفظية:

يمثل هذا المستوى من التحليل البلاغي جوهرة الصناعة الخطابية في خطب و رسائل هارون الرشيد ، حيث تتوزع البنية الاسلوبية في الإيجاز الذي يحقق الأثر الحجاجي ، و كذلك الاطناب الذي هو بدور يوسع دائرة الإقناع و بالإضافة الى توظيف الصور البيانية و المحسنات اللفظية بوصفها أدوات لإنتاج الجمالية و التأثيرية في أن واحد، و هذا ما يتميز به هارون الرشيد في خطاباته.

أولا: خطبة يوم الجمعة :

.الإيجاز

اعتمد هارون الرشيد في خطبته على الإيجاز بنوعيه و مثال ذلك:

في ايجاز الحذف قوله " فاتقوا الله عباد الله"[3] نوعه ايجاز الحذف فقد حذف هارون الرشيد كلمة عذاب في الأصل تكون اتقوا عذاب الله و قد جاء هذا الحذف لغرض تنبيه المتلقي بسرعة.

---

[1] **نفسه**

[2] **نفس المرجع السابق**

[3] هارون الرشيد، خطبة يوم الجمعة

"أوصيكم عباد الله و نفسي "[1]نوعه ايجاز الحذف فقد حذف هارون الرشيد عبارة تقوى الله و في الأصل تكون أوصيكم بتقى الله فكان غرضه الاختصار لدلالة ما .

"فإن أجله مستور عنه"[2] نوعه ايجاز الحذف ، فقد حذف الانسان فأصل الجملة فإن أجل الانسان مستور عنه و كان غرضه الايجاز لشهرة المراد.

"فاز بالفوز أو الشقوة"[3] نوعه إيجاز حذف ، حذف كلمة العظيم فأصل الجملة فاز بالفوز العظيم غرضها بيان عقاب العمل .

"نسأل الله أن يجعلنا و إياكم "[4] نوعه ايجاز حذف فأصل الجملة أن يجعلنا من الفائزين فقد حذف هارون الرشيد كلمة الفائزين لغرض الاختصار و وضوح المقصود في الدعاء.

ومن ايجاز القصر قوله " و ما بين أحدكم و بين الجنة و النار الا الموت"[5] نوعه ايجاز القصر فهنا هارون الرشيد اختصر مصير الانسان في جملة واحدة و كان غرضه تصوير قرب الاخرة و تخويف المتلقي.

.الاطناب

اعتمد هارون الرشيد في خطبته على الاطناب بأنواعه مثال ذلك في قوله:

"أحمده و أستعينه ، و أومن به و أتوكل عليه"[6] نوعه تكرار غرضه إظهار الخضوع و التأثير الوجداني.

"بالتقوى وحده و العمل لما عنده، و التنجز لوعده"[7] نوعه تفصيل بعد إجمال غرضه الايضاح و التوكيد.

"استعدوا للموت فقد أظلكم ، و كونوا كقوم صيح بهم "[8] نوعه تمثيل غرضه زيادة ترهيب من الموت.

"فإن الله لم يخلقكم عبثا، ولم يترككم سدى "[9] نوعه احتراس غرضه تقرير الغاية من الخلق.

"غاية تنقصها اللحظة و تهدمها الساعة "[10] نوعه ترادف غرضة تبين بقصر الاجل.

---

[1] **نفسه**

[2] نفس المرجع السابق

[3] **نفسه**

[4] **نفسه**

[5] **نفسه**

[6] **هارون الرشيد، خطبة يوم الجمعة**

[7] **نفسه**

[8] **نفسه**

[9] **نفسه**

[10] **نفسه**

الصور البيانية :

لم تخلو خطبة هارون الرشيد من الصور البيانية فقد تمثلت في:

"فقد أظلكم الموت"[1] استعارة مكنية فقد شبه الكاتب الموت بسحابة التي تظل فهذا تجسيد لقرب الموت .

"كونوا قوما صيح بهم فانتبهوا"[2] نوعه تشبيه بليغ فقد شبه هارون الرشيد السامعين بقوم نائمين صيح بهم ، حذف أداة و وجه الشبه ، في اصل تكون كونوا كقوم صيح بهم. فهنا هارون الرشيد حث السامعين على اليقظة من الغفلة فالوقت يمر.

"تنبهوا فعلموا"[3] استعارة مكنية ، شبه الغفلة بالنوم و حذف المشبه به و دل عليه ب تنبهوا، فهنا يدعو الي التنفير من الغفلة.

"فإن أجله مستور عنه و أمله خادع له"[4] استعارة مكنية ، شبه هارون الرشيد الامل بالإنسان الخداع ، فقد حذف المشبه به وذكر صفة تدل عليه و هي الخداع ، فهنا يحذر الكاتب من طول الامل ويبين خطره .

" وعلموا أن الله عندكم كتبا محفوظة" [5]كناية عن صفة إحصاء الاعمال و دقة الحساب ، غرضها تداولي اقناعي.

.المحسنات اللفظية:

استخدم هارون الرشيد في خطبته السجع و الجناس و كذلك الطباق وقد ظهر في :

" فاتقوا الله عباد الله ، و استعدوا للموت فقد أظلكم" [6]نوعه السجع فهنا تتوافق الفاصلتين في "عباد الله" و "أظلكم " في الحرفين الكاف و الميم ، فهذا يعطي جرس موسيقي يؤثر في السامع ليسهل عليه الحفظ.

نلاحظ أيضا وجود الجناس الذي ظهر في قوله " واعلموا ...و اعلموا"[7] هنا الكلمتان متفقتان في أحرف لكن مختلفتان في المعنى ، فتعمل على تنبيه الأذن للربط بين العلم و العمل. و كذلك في قوله "غاية تنقصها اللحظة و تهدمها الساعة"[8] بين اللحظة و الساعة تشابه في الوزن أيضا متقاربتان في المعنى ، و كان أثرهما تصوير سرعة الزمن بإيقاع السريع .

---

[1] **نفس المرجع السابق**

[2] **نفسه**

[3] **نفسه**

[4] **نفسه**

[5] **هارون الرشيد، خطبة يوم الجمعة**

[6] **نفسه**

[7] **نفسه**

[8] **نفسه**

ولا ننسى وجود الطباق في قوله " الجنة و النار"[1] فهما كلمتين متضادتين في المعنى و يتجلى أثرهما في إبراز المفارقة بين المصيرين لتخيير و الترهيب

ثانيا: خطبة عيد الأضحى:

.الايجاز:

ظهر الايجاز في قوله " الخير كله في الجنة و الشر كله في النار"[2] نوعه ايجاز القصر ، نلاحظ ألفاظ قليلة ضمت معاني الثواب و العقاب و الجزاء، غرضه حصر مصير الانسان بين الجنة و النار.

.الاطناب :

يتجلى الاطناب في قوله " أبان أفضله ، و أوجب تشريفه و أعظم حرمته"[3] نوعه اطناب بالترادف لان هارون الرشيد كرر معاني التعظيم بكلمات مختلفة و هي أبان ، أوجب ، أعظم .فالغرض منها هو ترسيخ هيبة يوم النحر في نفوس السامعين و إظهار قداسته.

و كذلك في قوله " يومكم هذا...يوم الحج الأكبر"[4] نوعه اطناب تفصيل قبل الاجمال لان هارون الرشيد ذكر يومكم مجمل ثم فصل صفاته يوم حرام، يوم شهود..، غرضه التشويق.

.الصور البيانية:

تتجلى الصور البيانية الاستعارة و الكناية في الخطبة حيث تتمثل في قوله:

" يناله التقوى منكم"[5] استعارة مكنية حيث شبه هارون الرشيد التقوى بشيء مادي يصل الى الله و حذف المشبه به . غرضه تجسيد المعاني الخفية و تأكيد جوهر العبادة .

" بصحة التقوى في قلوبكم"[6] نوعها استعارة مكنية ،صور هارون الرشيد التقوى بالجسد له صحة ، الغرض منه بيان ان العبادة قد تكون عليلة بالرياء او صحيحة بالإخلاص.

---

[1] **نفس المرجع السابق**

[2] **هارون الرشيد، خطبة عيد الأضحى**

[3] **نفسه**

[4] **نفسه**

[5] **نفسه**

[6] **نفسه**

انتقل هارون الرشيد من الاستعارة الى الكناية التي ظهرت في قوله "من كل فج عميق "[1] هي كناية عن صفة فقد ذكر المجيء من الطريق البعيد و المنحى من المسافة ، غرضها بيان مشقة السفر و عظمة تلبية نداء الحج من شتى بقاع الأرض.

.المحسنات اللفظية:

تتمثل المحسنات اللفظية في الخطبة من طباق و مقابلة فقد ظهرت في :

"الجد لا اللعب و الحق لا الكذب "[2] نوعه طباق فقد جمع هارون الرشيد بين الضدين ، غرضه احداث جرس موسيقيا يشد الانتباه ، و يبرز الفرق بين الحق و الباطل.

"فمن نجا فقد فاز ومن هوى قد خاب"[3] نوعه مقابلة ، وضع هارون الرشيد جملتين متقابلتين في المعنى أي نجا ضد فاز و هوى ضد خاب ، كان غرضه إظهار التباين التام بين عاقبة الطاعة و عاقبة المعصية لتخويف و الترغيب.

ثالثا.خطبة يوم عيد الفطر

.الايجاز:

" لا كثير مع ندم و استغفار، ولا قليل مع تماد و اصرار "[4] نوعه ايجاز قصر ، ذكر كلمات معدودة اختصرت أحكام التوبة و قبول العمل و شروط المغفرة ، غرضه تقرير قاعدة شرعية شاملة و حفظها و تداولها كحكمة.

و ظهر أيضا في قوله " أحل الله لكم فيه الطعام ، و حرم عليكم فيه الصيام"[5] نوعه ايجاز القصر ، فهما جملتان توضحان تغير الحكم الشرعي من الصوم الى الفطر ، غرضه بيان تيسير الله على عباده و إظهار خصوصية يوم العيد.

.الاطناب:

ظهر في قوله :" ظلمته ، ضيقه، وحشته، و هول مطلعه"[6] نوعه اطناب بذكر المترادفات ، هنا تتابع الاوصاف التي تدل على وحشة القبر ، غرضه تهويل الموقف في نفوس السامعين، و حثهم للاستعداد و تنبيهم من الغفلة.

و أيضا قوله:" اتقوا الله ، فاحذروا ما حذركم ...و اتقوا اليوم الذي يجمعكم"[7] نوعه اطناب لتكرار، قام هارون الرشيد بتكرار الأمر بالتقوى و التحذير بصيغ مختلفة في مواضع متفرقة . غرضه النصح و تأكيد أن التقوى هي الملجأ الوحيد في ذلك الموقف.

---

[1] **نفس المرجع السابق**

[2] **نفسه**

[3] **نفسه**

[4] **هارون الرشيد، خطبة عيد الفطر**

[5] **نفسه**

[6] **نفسه**

[7] **نفس المرجع السابق**

.الصور البيانية:

تميزت الصور البيانية في:

"بادروا الأمر الذي اعتدل فيه يقينكم"[1] نوعه كناية عن موصوف فالمقصود بالأمر هو الموت الذي يوقن به الجميع ولا يشك فيه أحد ، غرضه إبراز حتمية الموت بصفته الحقيقية الوحيدة التي لا تقبل الجدل.

"زلت عند الموت قدمه"[2] نوعها استعارة مكنية، صور هارون الرشيد الموت منحدرا او مكان اللزج الذي تنزل فيه الأقدام وحذف المشبه به ، غرضه تجسيد خطورة لحظة الاحتضار و تحذير من سوء الخاتمة.

"نتهكم به الدنيا عن نفسها "[3] نوعها استعارة مكنية ، صور الدنيا كشخص ناطق ينهي و يحذر من نفسه ، الغرض منه التأكيد على فناء الدنيا .

.المحسنات اللفظية:

" استغفار، إصرار ، عثرة ، توبة" نوعه سجع ، هنا تتوافق الفصول في الحروف . غرضه إعطاء نغمة موسيقية تساعد على ترسيخ المعنى.

وكذلك استخدم الطباق في قوله: "احل ، حرم ، الطعام ، الصيام."[4] جمع هارون الرشيد بين الشيء و ضده ، غرضه توضيح الفرق بين حال الانسان في رمضان و حاله في العيد.

ولم ينسى هارون الرشيد المقابلة التي ظهرت في قوله: "لا شيء قبله الا دونه ، ولا شيء بعده الا فوقه "[5] فهنا تتقابل الجملتين في الترتيب و المعنى، غرضها تبيين عظمة الموت.

رابعا: خطبة وعظية

.الايجاز: ظهر في .

ايجاز القصر الذي ظهر في قوله: " انكم سفر مجتازون"[6] قد اختصرت الجملة وجود الانسان في الدنيا و رحيله عنها . غرضها تصغير شأن الدنيا في نفس السامع وحثه على سرعة التزود للأخرة .

.الاطناب: تمثل في

---

[1] **نفسه**

[2] **نفسه**

[3] **نفسه**

[4] **هارون الرشيد، خطبة عيد الفطر**

[5] **نفسه**

[6] **هارون الرشيد، خطبة وعظية**

"يوم البعث ، التغابن ، التلاق ، التناد" نوعه اطناب بذكر المترادفات ، فقد تعددت أسماء يوم القيامة في سياق واحد غرضه التهويل و التعظيم .

و ظهر كذلك في " حصنوا ايمانكم بالأمانة، و دينكم بالورع ، و صلاتكم بالزكاة."[1] نوعه اطناب(التفصيل بعد الاجمال) ، هنا جمل هارون الرشيد التقوى في البداية ثم فصلها في صور عملية . غرضه تقرير المعنى في ذهن السامع و توضيح السلوك المطلوب من المسلم بدقة.

" أوجب رحمته للمتقين ، و مغفرته للتائبين و هداه للمنيبين" [2]هو اطناب بالترادف ، فهنا كرر هارون الرشيد معاني الرحمة و المغفرة مع اختلاف صفات المؤمنين .غرضه التأكيد على سعة فضل الله، و فتح أبواب الرجاء لكل أصناف الطائعين.

.الصور البيانية :

تجلت الصور البيانية في :

استعارة مكنية في قوله: " دروس من العلم"[3] حيث شبه هارون الرشيد العلم بثوب الذي يبتلى أو الأثر الذي يمحى و قام بحذف المشبه به . غرضه التعبير عن ضياع العلم و غياب العلماء .

و ظهرت كذلك في " دار فناء الى دار البقاء"[4] نوعه كناية. فقد كنى بالدار الأولى عن الدنيا و بالثانية عن الاخرة . غرضه ابراز التناقض بين زوال الدنيا و خلود الاخرة لتعزيز الزهد.

و أيضا " تختفي الصدور"[5] مجاز مرسل . فقد ذكر الصدور و أراد القلوب . غرضه الإحاطة و الشمول .

.المحسنات اللفظية:

المقابلة في قوله: " ادبار من الدنيا ، اقبال من الأخرة "[6] فهنا تقابلت الجملتان ادبار ضد اقبال و الدنيا ضد الأخرة ، فالغرض منها توضيح المسار الحتمي للإنسان و ان يبتعد من الدار و يقترب من الأخرة .

و كذلك ظهر السجع في " التبلي في الأسرار ، و تشخص فيه الأبصار"[7] فهنا توافق الفواصل في الحرف الأخير .غرضه تثبيت الرهبة في النفس .

---

[1] نفسه

[2] نفسه

[3] هارون الرشيد ، خطبة وعظية

[4] نفسه

[5] نفسه

[6] نفسه

[7] نفسه

"وعده و وعيده"[1] جناس ناقص . حيث تتشابه الكلمتين في اللفظ و اختلافهم في المعنى . هنا كان غرضه لفت الانتباه.

3. ملامح البيان العربي في النثر الرشيدي:

ظهرت ملامح البيان العربي في خطب هارون الرشيد الأربعة التي ذكرنها سابقا تمثلت فيما يلي :

اعتمد هارون الرشيد في خطبه على المرجعيات القرآنية ، خاصة في توظيفه للاقتباس المباشر مثل "فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور...." [2] من خلالها تبين انها ليست لزينة اللفظية فقط بل قد اضافت للخطبة القوة و الحجة .

فهنا هارون الرشيد لم يستخدم القرآن كزينة بل استخدمه كسلاح لتأثير في السامعين.

من خلال الخطب نلاحظ ان هارون الرشيد قام بأسلوب يجمع بين الترغيب و الترهيب، فهو يبدأ بذكر فضل المناسبات ، من بعدها ينتقل الى التذكير بالموت و الحساب. وقد اعتمد هذا الأسلوب لتأثير في نفسية السامع. نرى هنا انا هارون الرشيد قد استغل فرحة العيد وقام بتذكيرهم بالموت لي ترسخ الفكرة في العقل و القلب مباشرة.

الخطب يحتوا على الإيقاع الداخلي و تنوعه كالسجع و التوازي في الجمل مثل أحل الله لكم ... و حرم عليكم ... هذا يضيف نوع من التوازن و الانسجام في الكلام دون ان تكون فيه تكلفة واضحة ، و هذا ما يجعل الخطبة سهلة الفهم و التلقي للاستعاب.

نرى كذلك ندرة الصور البلاغية المتكلفة لان هارون الرشيد استخدم التعابير المباشرة و غالبا ما تكون مستمدة من القرآن الكريم.

وازن الرشيد بين الايجاز و الاطناب عند تقديمه للقواعد العامة ، و أحيانا يطيل في وصف أحوال يوم القيامة و هذا ما يدل على انه يراعي المقام و قد وظفهم حسب حاجته.

استعمل هارون الرشيد الطباق و المقابلة بكثرة فكان هدفها توضيح الفكرة و تقريبها الى السامع ، و لم يكن هذا مجرد تزيين لفظي فقط . هذا ما يتناسب مع طبيعة الخطاب الوعظي الذي قام على المقارنة بين الخير و الشر مثل: من نجاء فقد فاز ومن هوى فقد خاب.

نلاحظ كذلك ان هارون الرشيد قام باستخدام لغة سهلة و واضحة و هذا أمر منطقي لان الخطبة موجهة للكل كبيرا و صغيرا و هذا ما يساعد الى الوصول للمعنى بشكل مباشر.

غلب الطابع الديني في خطب هارون الرشيد حيث افتتح كامل خطبه بالحمدالله و انتهت بالتذكير بالأخرة.

---

[1] **نفسه**

[2] **هارون الرشيد، خطبة عيد الفطر**

و بهذا يتضح أن ملامح البيان العربي في النثر الرشيدي قد جمعت بين جلالة المعنى و جمال المبنى، فهو نثر وظيفي غايته التهذيب ووسيلته الاقتباس القرآني ، و اداته السهل الممتنع .

من خلال النتائج التي تحصلنا عليها في هذا المبحث يتضح أن الأساليب الفنية و البناء اللغوي شكلت الركيزة الأساسية التي قام عليها الخطاب النثري عند هارون الرشيد . فقد تجلت خصائصه البلاغية في البنية الأسلوبية المحكمة ، و الإيقاع الداخلي ،والموازنة بين الإيجاز و الإطناب. و كذلك الصور البيانية و المحسنات اللفظية ولم تكن هذه العناصر مجرد لزخرفة فقط، بل كانت أدوات وظيفية استخدمها الخليفة هارون الرشيد لتعزيز قوة خطابه و تحقيق مقاصده الإقناعية و التأثيرية.

المبحث الثاني: التفاعل بين الأدبية و الوظيفة التواصلية.

1. تداخل البعد الجمالي مع البعد السلطوي و السياسي:

إن أول ما يلاحظه الباحث العلمي في خطب هارون الرشيد هو أن البلاغة و الجمال اللغوي لم تكن هي الهدف الأساسي ،فهارون الرشيد لم يكن يهدف لاستعراض قدرته في مجال الادب فقط . بل كان يستخدم اللغة كوسيلة من وسائل الحكم ، فهو يثبت دولته و سلطته بالكلام الذي يؤثر به في نفس المتلقي مثلما يثبتها بقوة سيفه. فهذا الربط بين جمال الأسلوب و خدمة السلطة يمكن أن نراه من خلال ما يلي:

نلاحظ أن هارون الرشيد قد اقتبس من القرآن الكريم اقتباس مباشرا ، فهو لم يستخدمها لتجميل كلامه أو إظهار بلاغته فقط ، بل كان له هدف سياسي فمثلا عندما يقول: " فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور" [1]، هنا لا يريد أن يعظ الناس فقط ، بل كان يريد أن يجعل كلامه مثل كلام القرآن . فالسامع العامي في المسجد لا يميز بين كلام الخليفة و الآية، فيتلقى الأمر كله كأنه دين. و هذا يحقق لسلطة شرعية قوية لأن طاعته تصبح مثل طاعة الله.

و الأمر نفسه نجده في قوله " لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها"[2] . هذه الآية في الأصل تخويف الناس من يوم القيامة ، لكن هارون الرشيد بوضعه لها في خطبة عامة أمام الرعية يحولها إلى أداة ضبط سياسي . فالمواطن الذي يؤمن أن الدولة الإلهية تحصي عليه أنفاسه، سينضبط أمام الدولة الأرضية.

و هنا نرى أن هارون الرشيد استخدم بذكاء الآيات القرآنية و حوها الى سلاح سلطوي يضبط المجتمع و يثبت سلطته.

نلاحظ كذلك ان العلاقة بين البعد الجمالي و السياسي ظهر أكثر في خطبة عيد الأضحى ، فهارون الرشيد يكثر من وصف يوم النحر مثل " يوم حرام من أيام عظام في شهر حرام ، يوم الحج الأكبر ، يوم دعا الله الى النفر ، يوم مشهده

---

[1] **هارون الرشيد، خطبة عيد الفطر**

[2] **هارون الرشيد، خطبة وعظية**

يوجب غفرانه"[1] . فالسبب من هذا الوصف هوا ليس للعبادة فقط . بل لان الحج في زمن الدولة العباسية لم يكن موسم دينيا فقط ،فقد كان مثل مؤتمر كبير يجتمع فيه الناس من كل البلاد الإسلامية ،و كلهم تحت حكم خليفة واحد. فكلما يعظم الخليفة من يوم الحج بكلام جميل و مؤثر ، فهو في الحقيقة يرفع من قيمة دولته التي تنظمه و تحمي طريق الحجاج.

من الأمور التي تظهر في خطب هارون الرشيد هو كثرة الكلام عن الموت و يوم القيامة مثلا قوله: " هو الموت المكتوب عليكم...فقد أظلكم"[2] و كلمة أظلكم توحي بأن الموت قريب جدا . و يقول أيضا "إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين"[3] و هذه الصورة تجعل السامع يخاف و يتأثر. فالهدف من هذا الكلام ليس تخويف الناس فقط ، بل هو هدف سياسي . لان الحاكم يرتاح أكثر عندما يكون الشعب يخاف من الله و من الحساب و الاخرة .

لهذا كان هارون الرشيد يستخدم التخويف من الآخرة لكي يحافظ على الاستقرار في دولته.

2. أثر الأسلوب في الأقناع و التأثير:

خطب هارون الرشيد لم تكن مجرد كلام يقال في المنبر و ينتهي ، بل كانت تؤثر في السامعين و تغير طريقة تفكيرهم . و السبب في ذلك هو الأسلوب الذي استخدمه ، لأنه كان يخاطب العقل و القلب مع بعض. نلاحظ هذا التأثير في :

نلاحظ في أسلوب هارون الرشيد أنه كان يستخدم جمل القصيرة و قوية تسهل على السامع حفظها مثل : "لا إيمان لمن لا أمانة له ، و لا دين لمن لا عهد له" [4]هذه الجملة لا تحتاج الى شرح طويل ، بل تدخل الى العقل مباشرة.

من خلال هذا الأسلوب فقد استطاع هارون الرشيد توصيل الأفكار بكلمات قليلة ، و هذا ما يجعل الأقناع أسهل و أسرع .

في مقابل كان هارون الرشيد يريد أن يؤثر في مشاعر الناس و يخوفهم ، حيث كان يستخدم كلاما طويلا و مفصلا . مثل قوله : "يوم تشخص فيه الأبصار ، و تبلى فيه الأسرار، يوم البعث و يوم التغابن، و يوم التلاق و يوم التناد"[5] هنا يكرر كلمة يوم و يذكر أسماء كثيرة ليوم القيامة لكي يرسم صورة كاملة مخيفة في عقل السامع. و الأنسان بطبعه يتأثر بتفاصيل الكلام العام . فعندما يسمع هذا الوصف يشعر بالخوف الشديد و يفكر في التوبة .

---

[1] **هارون الرشيد، خطبة عيد الأضحى**

[2] **هارون الرشيد، خطبة عيد الفطر**

[3] **نفسه**

[4] **هارون الرشيد، خطبة وعظية**

[5] **هارون الرشيد، خطبة عيد الفطر**

ومن الأساليب التي استخدمها هارون الرشيد في خطبه انه كان يضع السامع أمام طريقين فقط ، مثل قوله : " فمن نجا يومئذ فقد فاز، و من هوى يومئذ فقد خاب"[1] و أيضا "من دار فناء الى بقاء" [2]. هذه الطريق التي تجعل الانسان يفكر بسرعة و يختار بين الجنة و النار . و بهذا نرى أن أسلوب هارون الرشيد لم يكن هدفه الوصف فقط ، بل كان يريد أن يغير سلوك الناس.

المبحث الثاني : التفاعل بين الأدبية و الوظيفة التواصلية.

1ـ تداخل البعد الجمالي مع البعد السلطوي و السياسي :

إن أول ما يدركه الباحث في خطب هارون الرشيد أن البُعد البلاغي والجمالي لم يكن غاية بذاته، وإنما كان وسيلة وظيفية خاضعة لمتطلبات الحكم. فالخليفة لم ينطلق من دافع استعراضي لإبراز مقدرته الأدبية فحسب، بل وظّف اللغة كأداة فاعلة من أدوات تثبيت السلطة وإدارة الدولة. وهو بذلك يُرسّخ سلطانه بالخطاب المؤثر في وجدان المتلقي، كما يُرسّخه بقوة السيف. ويتجلى هذا الربط الجدلي بين جمالية الأسلوب وخدمة السلطة بوضوح في توظيفه للاقتباس القرآني، إذ لجأ هارون الرشيد إلى الاقتباس المباشر من القرآن الكريم لا بغرض التزيين اللفظي أو إظهار البراعة البيانية فحسب، بل لغاية سياسية محددة. فحين يقول: "فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور" [3]، لا يقصد الوعظ المجرد، بل وهذا الإيهام يجعل المتلقي العامي في المسجد يعجز عن التمييز .يسعى إلى إلباس خطابه صبغة قرآنية توحي بالقداسة ومن ثم تتحول طاعة الخليفة إلى طاعة .بين كلام الخليفة والآية القرآنية، فيتلقى الأمر برمته بوصفه حكماً دينياً ملزماً ذات مشروعية إلهية، لأنها تتداخل مع طاعة الله في ذهن السامع. وينطبق الأمر ذاته على قوله: "لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها"[4]، فالآية في أصلها تحذير من هول يوم القيامة، إلا أن توظيفها في خطاب عام أمام الرعية يحوّلها إلى آلية ضبط سياسي. فالفرد الذي يؤمن بأن الرقابة الإلهية تُحصي عليه الأنفاس، سيكون أشد انضباطاً أمام سلطة الدولة الأرضية. وعليه، فإن هارون الرشيد حوّل الآية القرآنية إلى سلاح سلطوي ذكي يُخضع المجتمع ويثبت دعائم حكمه.
وتضح العلاقة بين البُعد الجمالي والبُعد السياسي بجلاء في خطبة عيد الأضحى، حيث يكثف الخليفة من توظيف أوصاف تعظيمية ليوم النحر مثل: "يوم حرام من أيام عظام في شهر حرام، يوم الحج الأكبر، يوم دعا الله إلى النفر، يوم مشهده يوجب غفرانه"[5]. ولا يقتصر الدافع هنا على البُعد التعبدي، بل يتجاوزه إلى بُعد سياسي عميق، فالحج في العصر العباسي لم يكن طقساً دينياً محضاً، بل كان بمثابة مؤتمر جامع يجتمع فيه المسلمون من مختلف الأقاليم تحت راية خليفة واحد. وبقدر ما يعظم الخليفة من شعائر الحج بخطاب مؤثر وجزيل، بقدر ما يرفع من مكانة دولته التي تشرف على تنظيمه وتأمين طرق الحجاج، فتعظيم اليوم هو تعظيم للدولة المنظمة له. ومن السمات البارزة في خطب هارون

---

[1] نفسه

[2] هارون الرشيد، خطبة وعظية

[5] هارون الرشيد، خطبة عيد الفطر

1 هارون الرشيد ، خطبة وعظية

2 هارون الرشيد ، خطبة عيد الأضحى

الرشيد إكثاره من الحديث عن الموت ويوم القيامة، كقوله: "هو الموت المكتوب عليكم... فقد أظلكم"[1]، حيث توحي لفظة "أظلكم" بقرب الأجل وتدانيه، وكقوله: "إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين"[2]، وهي صورة حسية تُثير الخوف والانفعال في نفس المتلقي. ولا يُراد من هذا الخطاب التخويف الذاتي فحسب، بل يُقصد به غاية سياسية، فاستقرار الدولة يتحقق بقدر ما يخاف الرعية من الله والحساب والآخرة، لأن هذا الخوف يولّد انضباطاً ذاتياً يغني السلطة عن اللجوء إلى القوة المادية. ومن ثم، فإن هارون الرشيد وظّف التخويف من الآخرة كوسيلة لضبط المجتمع والحفاظ على استقرار دولته.

2ـ أثر الأسلوب في الأقناع و التأثير:

خطب هارون الرشيد لم تكن مجرد كلام يقال في المنبر و ينتهي ، بل كانت تؤثر في السامعين و تغير طريقة تفكيرهم . و السبب في ذلك هو الأسلوب الذي استخدمه ، لأنه كان يخاطب العقل و القلب مع بعض. نلاحظ هذا التأثير في :

نلاحظ في أسلوب هارون الرشيد أنه كان يستخدم جمل القصيرة و قوية تسهل على السامع حفظها مثل : "لا إيمان لمن لا أمانة له ، و لا دين لمن لا عهد له" [3]هذه الجملة لا تحتاج الى شرح طويل ، بل تدخل الى العقل مباشرة.

من خلال هذا الأسلوب فقد استطاع هارون الرشيد توصيل الأفكار بكلمات قليلة ، و هذا ما يجعل الأقناع أسهل و أسرع .

سعى هارون الرشيد إلى استثارة وجدان المتلقي و بث الخوف في نفسه كوسيلة لإحكام السيطرة عليه ، حيث كان يستخدم كلاما طويلا و مفصلا . مثل قوله : "يوم تشخص فيه الأبصار ، و تبلى فيه الأسرار، يوم البعث و يوم التغابن، و يوم التلاق و يوم التناد"[4] هنا يكرر كلمة يوم و يذكر أسماء كثيرة ليوم القيامة لكي يرسم صورة كاملة مخيفة في عقل السامع. و الأنسان بطبعه يتأثر بتفاصيل الكلام العام . فعندما يسمع هذا الوصف يشعر بالخوف الشديد و يفكر في التوبة .

ومن الأساليب التي استخدمها هارون الرشيد في خطبه أنه كان يضع السامع أمام طريقين فقط ، مثل قوله : " فمن نجا يومئذ فقد فاز، و من هوى يومئذ فقد خاب"[5] و أيضا "من دار فناء الى بقاء" [6]. هذه الطريق التي تجعل الانسان يفكر بسرعة و يختار بين الجنة و النار .

و بهذا نرى أن أسلوب هارون الرشيد لم يكن هدفه الوصف فقط ، بل كان يريد أن يغير سلوك الناس.

3 ـ صورة الرشيدية في الذاكرة الأدبية و التاريخية :

---

3 هارون الرشيد ، خطبة عيد الفطر

4 نفسه

[3] هارون الرشيد، خطبة وعظية

[4] هارون الرشيد، خطبة عيد الفطر

[5] نفسه

[6] هارون الرشيد، خطبة وعظية

صورة هارون الرشيد لم تكن ثابتة في الكتب ، بل تغيرت من أدبية الى تاريخية ظهرت في :

في كتب الأدب و الوعظ نجد أن صورة الرشيد صورة الخليفة الذي يخاف الله و يبكي في الموعظة. و مثال ذلك ما ذكره ابن عبد ربه في كتابه العقد الفريد ، حيث يقول ان هارون الرشيد كان " يبكي حتى يبل ثوبه"[1] . و هاته الصورة كان هارون الرشيد هو من رسمها بنفسه في خطبه. و كذلك نجدها عند المسعودي في كتابه مروج الذهب الذي يصوره كخليفة مترف لكنه راع للحضارة و العمران[2]. و ابن قتيبة في كتابه عيون الأخبار الذي يركز فيه على أنه خليفة حكيم يحب النصيحة[3]. لكن أبو فرج الاصفهاني في كتابه الأغاني قد قدم صورة مختلفة تماما ، يظهر الرشيد كشخص يحب الطرب و مجالس اللهو و الغناء.[4] و اما الجا حط قد صوره في كتابه البيان و التبيين أنه يركز على الفصاحة و أنه راع للبيان و الخطابة.[5]

يعود هذا التباين في الاختلاف في الكتب الأدبية هي أن كل مؤلف اختار ان يصور هارون الرشيد بما يناسب موضوع كتابه.

و أما في كتب التاريخية نجد أن هارون الرشيد يظهر كشخصية قوي و متدين عند كل من الطبري في كتابه تاريخ الرسل و الملوك الذي صور هارون الرشيد كخليفة قوي و قائد عسكري منظم لدولة [6]. و ابن الكثير في كتابه البداية و النهاية صوره على أنه خليفة ورع و متدين و قريب من العلماء[7].

يهدف هذا التصور الى إبراز هيبة الدولة و قوة الخلاف .

و نجد أيضا قصص ألف ليلة و ليلة قد صورت هارون الرشيد من الناحية التاريخية . كان يعيش في القصور، و يخرج متخفيا في الليل ليرى أحوال الناس.

---

[1] ابن عبد ربه الاندلسي، العقد الفريد ، ت: مفيد محمد قميحة، ط: 1 بيروت دار الكتب العلمية، 1983م، ج1 ص170

[2] المسعودي، علي بن الحسين. مروج الذهب ومعادن الجوهر. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. ط4. القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى، 1964م. ج3، ص 342.

[3] بن قتيبة الدينوري، عبد الله بن مسلم. عيون الأخبار. تحقيق: يوسف علي طويل. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية، 1986م. ج1، ص 55 .

[4] لأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين. كتاب الأغاني. تحقيق: إحسان عباس وآخرون. ط3. بيروت: دار صادر، 2008م. ج5، ص 12 .

[5] الجاحظ، ،البيان والتبيين. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. ط7. القاهرة: مكتبة الخانجي، 1998م. ج1، ص 171.

[6] الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الرسل والملوك. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. ط2. القاهرة: دار المعارف، 1967م. ج8، ص 301-304.

[7] ابن كثير، إسماعيل بن عمر. البداية والنهاية. تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي. ط1. الجيزة: دار هجر، 1997م. ج10، ص 213

الخاتمة

الخاتمة

وفي ختام هذا البحث الموسوم بـ«**أدبية الخطاب النثري عند هارون الرشيد**»، وبعد دراسة النصوص وتحليلها من الجانبين الأسلوبي والبلاغي، أمكن الوصول إلى جملة من النتائج التي أسهمت في الإجابة عن الإشكالية المطروحة، وأكدت الفرضيات التي انطلق منها البحث، والمتعلقة بطبيعة الأدبية في الخطاب النثري عند الخليفة العباسي هارون الرشيد، ومدى ارتباط هذا الخطاب بالسياق الحضاري ،والسياسي.

وقد أظهرت الدراسة أن خطاب هارون الرشيد لم يكن مجرد خطاب سلطوي ذي وظيفة سياسية أو إدارية، بل كان خطابًا أدبيًا متكامل البنية، تتداخل فيه الوظيفة التواصلية مع الأبعاد الجمالية والفكرية. فقد استطاع الرشيد أن يؤسس من خلال خطابه لمفهوم «الخلافة المسؤولة»، إذ ربط بين طاعة الحاكم وطاعة الله، وجعل من العدل والأمانة والالتزام الأخلاقي أسسًا مركزية للحكم الرشيد. ولم تُطرح هذه القيم في صورة مباشرة أو تقريرية فحسب، بل صيغت في قوالب بلاغية محكمة، اتسمت بالكثافة التعبيرية والإيقاع المؤثر، الأمر الذي منحها قوة تداولية جعلتها أقرب إلى المبادئ الأخلاقية الموجّهة لسلوك المجتمع.

كما كشف البحث أن الخطاب الرشيدي كان واعيًا بأهمية توحيد الهوية الإسلامية في ظل التعدد العرقي والثقافي الذي عرفه العصر العباسي، لذلك وظّف الرشيد وسائل لغوية ودلالية متعددة لتعزيز مفهوم الجماعة الإسلامية الجامعة، من خلال تكرار ضمير الجماعة واستحضار مصطلحات الوحدة والانتماء الديني. وقد مثّل هذا التوظيف استراتيجية خطابية تهدف إلى صهر مختلف الفئات داخل إطار حضاري واحد، بما يعكس وعيًا سياسيًا وثقافيًا بطبيعة المرحلة التاريخية.

ومن النتائج التي توصّل إليها البحث أيضًا أن خطاب هارون الرشيد حقق توازنًا واضحًا بين الفكرة والبناء الفني، فلم يكن الخطاب مجرد وعظ سياسي أو ديني، بل كان نصًا أدبيًا غنيًا بالرموز والإيحاءات والدلالات العميقة. فقد حضرت الرمزية بصورة لافتة في عدد من النصوص، حيث تحولت مفاهيم مثل الدنيا والآخرة والزمن والسلطة إلى رموز دلالية تتجاوز معناها المباشر، لتعبّر عن رؤية فلسفية وأخلاقية للحياة والوجود، وهو ما أكسب الخطاب بعدًا تأمليًا وجماليًا واضحًا.

وأثبتت الدراسة كذلك أن الرشيد اعتمد في بناء خطابه على الجمع بين الحجاج العقلي والتأثير الوجداني، فاستند إلى القرآن الكريم والحديث النبوي لتأسيس المشروعية الفكرية والدينية لخطابه، وفي الوقت نفسه لجأ إلى التصوير الفني والوصف المؤثر واستحضار مشاهد الثواب والعقاب لتحريك وجدان المتلقي والتأثير في عاطفته. وقد أسهم هذا المزج بين العقل والعاطفة في جعل الخطاب أكثر قدرة على الإقناع والتأثير، سواء لدى النخبة السياسية والثقافية أو لدى عامة الناس.

كما بيّنت الدراسة أن الخصائص الأسلوبية في الخطاب الرشيدي لم تكن عناصر زخرفية معزولة عن الدلالة، بل كانت تؤدي وظائف تعبيرية وتداولية دقيقة. فالإيجاز استُخدم في المواطن التي تتطلب الحسم والتقرير وترسيخ المبادئ، بينما ظهر الإطناب في المقامات الوعظية والتخويفية التي تستدعي التفصيل والتأثير النفسي. كذلك كشفت النصوص

الخاتمة

عن حضور واضح للمحسنات البديعية، كالسجع والطباق والمقابلة، غير أن توظيفها جاء منسجمًا مع المعنى والسياق، وأسهم في تقوية الإيقاع الداخلي للنص وتثبيت الأفكار في ذهن المتلق.

المصادر والمراجع

أولا : المصادر

الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين. كتاب الأغاني. تحقيق: إحسان عباس وآخرون. ط3. بيروت: دار صادر، 2008. ج5 .

ابن الأثير، علي بن محمد. الكامل في التاريخ. تحقيق: عمر عبد السلام تدمري. بيروت: دار الكتاب العربي، 1417هـ/1997م. ج5 .

ابن عبد ربه الأندلسي، أحمد بن محمد. العقد الفريد. تحقيق: مفيد محمد قميحة. بيروت: دار الكتب العلمية، 1983. ج4 .

ابن قتيبة الدينوري، عبد الله بن مسلم. عيون الأخبار. تحقيق: يوسف علي طويل. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية، 1986. ج1 .

ابن كثير، إسماعيل بن عمر. البداية والنهاية. ط1. القاهرة: مطبعة السعادة، 1348-1358هـ. ج10

الجاحظ، عمرو بن بحر. البيان والتبيين. تحقيق: عبد السلام هارون. ط7. القاهرة: مكتبة الخانجي، 1998 .

الجرجاني، عبد القاهر. دلائل الإعجاز. تحقيق: محمود محمد شاكر. ط3. القاهرة: مطبعة المدني، 1992 .

الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الرسل والملوك. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. ط2. القاهرة: دار المعارف، 1387هـ/1967م. ج8 .

المسعودي، علي بن الحسين. مروج الذهب ومعادن الجوهر. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى، 1964. ج3 .

ثانياً: المراجع

أحمد زكي صفوت. جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة. بيروت: المكتبة العلمية، د.ت. ج3 .

تودوروف، تزفيتان. مفهوم الأدب والدراسات الأخرى. ترجمة: عبد العزيز الشبيل. ط1. بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، 1991.

حمداوي، جميل. النظرية الشكلانية في الأدب الكتب الإسلامية : 30 / 2026/4 ـ 21:38 Ketabonine . com والنقد والفن. موقع جامع

ياكوبسون، رومان. "إسهامات في تحديد مفهوم الشعرية الجديدة". ترجمة: يوسف بغداد. مجلة جامعة سعيدة، مج8، ع1، جوان 2021.

سعيدي ضناوي. ديوان هارون الرشيد. بيروت: دار صادر، 1998 .

ألف ليلة و ليلة ، الليلة السادسة و الستون ، موقع صوت ، Siwt ، Sowtmedia@ 2026/4/27ـ 10:20

فهرس المحتويات

المحتويات	الصفحة
البسملة	
إهداء	
شكر و عرفان	
الملخص	
المقدمة	أ
التمهيد : مفهوم أدبية الخطاب بين القديم و الحديث	1
الفصل الأول البنية الموضوعية و الدلالية في خطاب هارون الرشيد	
المبحث الأول : التيمات الفكرية و السياسية في خطاب هارون الرشيد .أولا: رؤية هارون الرشيد لسبطة و الدين و المجتمع .ثانيا: القيم السياسية و الأخلاقية المتجلية في خطابه .دلالات الانتماء و الهوية في نصوصه	3
المبحث الثاني: القيم الجمالية و الدلالية في الخطاب. .التوازن بين الفكرة و البعد الفني. .الرمزية و المعاني الضمنية في خطابه. .تحليل نماذج مختارة من الرسائل و الخطب.	8
الفصل الثاني: الخصائص البلاغية و التفاعلات الأدبية في الخطاب النثري.	
المبحث الأول: الأساليب الفنية و البناء اللغوي .البنية الأسلوبية و الإيقاع الداخلي في خطابه. .الإيجاز ، الإطناب ، الصورة البيانية و المحسنات اللفظية. .ملامح البيان العربي في النثر الرشيدي.	17
المبحث الثاني: التفاعل بين الأدبية و الوظيفة التواصلية . .تداخل البعد الجمالي مع البعد السلطوي و السياسي. .أثر الأسلوب في الإقناع و التأثير. .صورة الرشدية في الذاكرة الأدبية و التاريخية.	33
الخاتمة	38
المصادر و المراجع	
فهرس المحتويات	